

رواية

محمود الجعيدي

عهود الهلاك



الكتاب : عهدود الهلاك
المؤلف : محمود الجعيدى
تصميم الغلاف : أحمد وهبة
تدقيق لغوي: دعاء مصطفى
تنسيق: أحمد مسعد
رقم الإيداع: 2024 / 27723
الترقيم الدولى : 978-977-778-376-7

30 عمارات العبور - طريق صلاح سالم - القاهرة

ت : 01096539633

info@noonpublishing.com

جميع حقوق الطبع و النشر و التوزيع محفوظة

للمنشر



«ليس للموت عائلة، ولهذا يظل يبحث عن جثث جديدة حتى لا يشعر بالوحدة، وما إن يضع أحدًا تحت الأرض، حتى يخرج ل يبحث عن غيره»

- ماريكا لوكاس

. اسمي «نبيل».. كاتب فاقد الشغف.. وأعتقد أن هذا هو الوصف الأنسب لحالي.. البداية من يوم مازلت أذكر تفاصيله جيداً، يوم بارد في مستشفى العباسية للصحة النفسية ولقاء مع الدكتورة «صفاء»، صديقة عزيزة، أحد أهم الشخصيات التي أعتمد عليها في الحصول على المعلومات. في تلك الفترة كنت أعاني من انقطاع الإلهام وسدة الكتابة قرابة العام. عادة كان يستمر ذلك لفترة قصيرة، لتعود بعدها الأفكار وتتدفق الكلمات، لكن هذه المرة طال الأمر كثيراً، وكأن الكلمات قد تأمرت ضدي، تهرب مني كلما حاولت القبض عليها. كان علي أن أجد طريقة للعودة، لأن الكتابة هي كل ما أملك، ولا أستطيع التخلي عنها. فكرت في كتابة رواية عن صحفي يدخل إلى مصحة نفسية للعلاج وهناك يستمع إلى قصص المرضى المرعبة والعجيبه. ذهبت وتحدثت مع الدكتورة صفاء وعرضت عليها الفكرة، فتحمست كثيراً وشجعتني قائلة :

- سجلات المستشفى مليانة حكايات تعمل منها روايات مش رواية واحدة بس

انتزعنا طرق خفيض على الباب من حديعنا ثم دخل رجل طويل القامة، شعره الأسود مصفف بعناية شديدة ومشدود على جبينه وبه فرق على الجانب الأيسر. تقدم إلى الداخل في ثقة وهو يبتسم ابتسامة صفراء واسعة قبل أن يجلس في مواجهتي. عرفت فيما بعد أن اسمه الدكتور «راشد»، وحين علم أنني كاتب بدت عليه السعادة وراح يسترسل في الحديث عن نفسه وانجازاته العلمية

وكيف أنه الأحق بإدارة المستشفى لولا الظلم الذي يتعرض له. شعرت أنه لن يتوقف عن الكلام وسوف يستمر حتى تفنى العوالم وتندثر النجوم. بمعجزة كبيرة قاطعته الدكتورة «صفاء» وقالت لي:

- سيبك من كلامه.. هو كذا دائماً عايش في دور الضحية

رغم ذلك استمر الدكتور راشد في الحديث والثرثرة، وبدأ ينتقل من موضوع إلى آخر وتظاهرت أنني مهتم بما يقول، لم يكن يعنيني الحوار كثيراً حتى وصلنا إلى نقطة لا يمكن لعقلي تجاوزها.. وهى الجنون!

قال الدكتور راشد متحدثاً عن الجنون:

- للأسف نظرة الناس للمرض النفسي بتتلخص في كلمة واحدة وهى «الجنون»

ابتسمت الدكتورة صفاء:

- في مثل قديم بيقول « إذا أردت أن ترى مجنوناً فما عليك إلا النظر إلى نفسك في المرآة»

قلت ضاحكاً:

- أنا مقتنع تمام الاقتناع بالمعل ده.. كلنا مجانين

قال الدكتور راشد في غموض:

- بس مجنون عن مجنون يفرق

التفت إليه وسألته في فضول وقد بدأت بذرة الرواية جديده تنمو داخل عقلي:

- يبقى أكيد مرت عليك حالات مش قادر تنساها؟

استقام الدكتور راشد في جلسته وقال:

- أكيد طبعا...

ثم أشعل سيجارة وراح يحكي:

- خليني أحكي ليك عن «سماح».. طول عمرها كانت بتحلم إنها تطلع رسامة، ولما كبرت واتجوزت بدأت تنعزل عن العالم وترسم وحوش غرقانة في الدم لكن محدش ركز أوي مع تصرفاتها.. بعد مدة اشتكت إنها بتشوف حاجات غريبة وهى ماشية، وقالت إنها كل ما تمشي في المنطقة تتفاجئ إن الناس في الشارع بيتحولوا لوحوش زي اللي هى بترسمهم. جوزها قال دي أكيد ممسوسة، وأخذها لشيخ المنطقة عشان يخرج منها الجن اللي لابسها، وطبعا حالتها ساءت بدون أي فايده، لحد ما في يوم وهى قاعدة مع ابنها وبنتها بيتفرجوا علي التلفزيون، فجأة سماح شافت ابنها بيتحول لوحش أو غول زي ما قالت بعد كدا. قامت بسرعه وجابت سكينه من المطبخ وراحت قتلتة عشان تنقذ نفسها وبنتها منه.

قالت الدكتورة صفاء في ثقة:

- التشخيص.. حالة اضطراب دماغي حاد أو Acute brain disorder

هز الدكتور راشد رأسه قائلاً:

- مضبوط

صار الأمر مشوقًا جدًا.. التفت إلى الدكتورة صفاء وسألتها:

- وأنت يا دكتورة.. مفيش حالة مش قادره تنسيها لغاية دلوقتي؟

تنفست الدكتورة صفاء بعمق وشرد ذهنها للحظة كأنها تسترجع ذكريات غابرة ثم بدأت تحكي هي أيضًا:

- حالة حسن.. حسن وهو طفل صغير عمره عشر سنين كان قاعد وسط أهله بياكلوا وفجأة النار مسكت في عفش البيت والبيت ولع، طبعا كلهم خرجوا لما بدأوا يشوفوا النار وحسن معاهم، بس بعد ما خرجوا، لقوا أن حسن اتوتر، وفجأة سابهم وجري ناحية البيت، لحقوه بسرعة قبل ما يرمي نفسه وينط في النار، ولما سألوه ليه عمل كده؟ رد وقال إنه بينقذهم من النار، وإن النار مبتطفيش إلا لو قدمنا لها قربان، ولازم النار تاكل إنسان ووقتها بس النار هتتطفي.. المهم عدت سنين وكبر حسن وعاش عادي جدًا لغاية لما اتجوز.. وفي يوم من الأيام كانت مراته بتطبخ وحصلت حريقة في المطبخ، حسن بص للنار كدة وقام جري بسرعة عشان يدور علي قربان يفدي نفسه بيه للنار.. المصيبة إن مكنش قدامه غير مراته، وبكل بساطة، أخذها ورماها في النار عشان ينقذ نفسه.

قال الدكتور راشد بعد تفكير بسيط:

- حالة خوف من النار أو Pyrophobia

غمغمت الدكتورة صفاء:

- صحيح جدًا.

قلت في توتر:

- القصص اللي من النوع ده بتجيب لي اكتاب

ضحك الدكتور راشد:

- إنت لو كنت عايش أيام العصور الوسطى، كنت هتفكر كويس أوي قبل ما تقول أنا مكتئب لأن في الوقت ده الأمراض النفسية كان بيتقال إنها بسبب مس شيطاني أو جن لابسه أو روح شريرة بتسكن المريض وهي اللي بتعمل كل التصرفات دي، والعلاج ساعتها إنهم يعملوا حفرة في جمجمة المريض باستخدام أدوات حادة، وحسب اعتقادهم إن الحفرة دي هتخرج منها الأرواح الشريره والشياطين.

حاولت أن أبادله الضحك:

- لا ده أنا كد احمد ربنا، وأبوس إيدي وش وضهر كمان.. الحمد لله

على نعمة العقل

قال الدكتور راشد في صرامة:

- أكثر شيء مرعب هو العقل.. عقل الانسان مخيف جداً يا نبيل.. مخيف لدرجة القدرة إنه يتحكم فيك بشكل كامل مش العكس، قادر عقلك يخليك تشوف حاجات وتسمعها وتعيش فيها وتكون مقتنع إنها هي الحقيقة.

فكرت فيما قال.. لم أجد به شيئاً غريباً بالنسبة إلى طبيب مثله مطلع على خبايا المرض النفسي.. قلت مُعلقاً على كلامه :

- للأسف الناس البسيطة بتربط دائماً بين المرض النفسي والجن.. وأي شيء بيحصل غير مفهوم هو عمل أسود أو جن ملعون.. الإيمان

بالخرافات مرض رهيب من أمراض المجتمع

قال الدكتور راشد في هدوء:

- ده حقيقي.. ولكن علشان مش نكون قاسين على نفسنا فالخرافات موجوده في كل دول بلا استثناء، أوريا نفسها زمان كان فيها اعتقاد أن لكل مرض شيطان مسئول عنه، وأن الروح الشريرة اللي بتسبب مرض الجنون اسمها «ايديتا»، ومع تطور العلم عرفنا إن دي كلها أمراض وإن مفيش مخلوقات خارقه للطبيعة ولا حاجة.

ثم نفت من فمه حفنة من الدخان تصاعدت إلى الجو في حلقات متلاشية وأضاف قائلاً في غموض :

- بس ده ميمنعش حقيقة إن فيه حاجات مالهاش تفسير.. حاجات فوق إدراكنا المحدود صعب إن عقلنا البشري يقدر يفهمها أو حتى يستوعبها

قلت في شك:

- احتمال

هز رأسه قائلاً:

- مفيش احتمال.. ده أكيد

ثم صمت لبرهة وعاد ليقول وهو ينهض:

- قوم معايا يا نبيل.. عاوزك تقابل مريض أنا مسئول عن حالته اسمه «صلاح».. صدقني لما تسمع حكايته هتغير كلامك وفكرتك عن العالم اللي إحنا عايشين فيه

التفت إلى الدكتورة صفاء في تساؤل فابتسمت في وجهي
مشجعة:

- قوم معاه.. متقلقش

- مش هتيجي؟

- لا.. ورايا تقرير محتاج أخلصه انهارده.

أسرعت بارتداء معطفي وقد تملكني خليط من الدهشة والفضول..
وبعد لحظات كنت أسير برفقة الدكتور راشد بين أروقة المستشفى
الفارغة.. الأروقة ملتوية ومظلمة.. الجدران مغطاة بطبقات
من الطلاء المتساقط، والأضواء الباهتة تلقي ظلالاً مرعبة على
الأرضية.. لم أستطع أن أمنع رجفة سرت في بدني، وشعرت أن هناك
ظلمة حالكة تحيط بي، وجو من الهمس يملأ الهواء!

أخبرني الدكتور راشد أن المستشفى كانت في الأصل قصر كبير،
أطلق عليها في البداية اسم «السرايا الحمراء» نظراً للون المبنى
المائل للأحمر، بناها الوالي «عباس الأول» لنفسه في الصحراء حتى
يبتعد وينعزل عن البشر، الغريب إنه حين أقام فيها انقلبت أحواله
وأصبحت تصرفاته غريبة أقرب للجنون وبدأ يبالغ في الخيالات
والهلاوس، إلى أن تم قتله في مدينة «بناها»، لتتحول بعد ذلك
السرايا إلى مكان مهجور يخشى الجميع الاقتراب منه، وفي عام
١٨٨٢ خصص الخديوى «توفيق» هذه السرايا للمرضى المصابين
بالجنون، وسميت وقتها بـ«المريستان»، ثم تعرضت إلى حريق
ضخم، وفيما بعد تم إعادة ترميمها ودهنها باللون الأصفر فأطلق
عليها «السرايا الصفراء»، وأصبحت هذه البداية للتسمية التي استمرت

حتى الآن!

وصلت أنا والدكتور راشد إلى عنبر الخطرين.. مررونا أمام غرف العنبر جذب بعض المرضى للنهوض والنظر إلينا من وراء الأبواب. توقفنا أمام آخر غرفه في الممر وطلب مني الدكتور راشد أن أنتظره قليلاً ريثما يعود.. أخبرني أنه سيغيب بضع دقائق حتى يستطيع أن يتحدث مع الحالة على انفراد ويمهد لي طريق الحوار.. تعجبت من هذا التصرف لكن وافقت.. هو الطبيب وبالتأكيد يعرف أكثر مني.. وبالفعل دخل إلى تلك الغرفة وبعد مرور عشر دقائق بالتمام والكمال خرج.. وهو يمسح العرق من على وجهه ولم أستطع تحديد انفعاله.. هل هو خوف أم غضب؟ أشار لي بالدخول:

- اتفضل.

- قلت في تردد:

- وإنّ مش هتدخل معايا؟

قال في سخرية:

- أوعى تكون خايف تدخل تقابل المريض لوحدك يا أستاذ؟!

أجبت في عناد:

- لا طبّقاً

ودفعت الباب بيدي ودخلت!

في الداخل كانت الغرفة تعبر عن العزلة والجنون.. لمبة خافته

متدلية من السقف.. جدران بيضاء ملئية برسومات غريبة وكتابات مشوهة.. المريض جالس على سرير معدني ينظر إلى الزاوية كأنه يراقب كائن غير مرئي.. قلت بصوت هادئ وأنا أقترّب منه:

- مساء الخير يا صلاح

رفع رأسه ببطء ونظر تجاهي وقال بنبرة غريبة:

- مساء النور

تأملت في ملامحه قليلاً.. شاب نحيل ذو وجه شاحب.. شعره طويل متشابك.. عيناه تحملان قلق وخوف لكن واعيه.. لم يكن أمامي وقت لاتساءل وأتأمل.. مضيت في محاولة كسب وده والحديث معه.. في البداية تقوقع على نفسه وبقي ساكناً مرتاباً، لكن بعد مدة استطعت استمالاته عن طريق التودد إليه وأبدا التعاطف معه.. مضى بعد ذلك يتحدث بطلاقة وسلاسة وقد زال التوتر من نبراته وتراخت عضلات وجهه المنقبضة.. شعرت أنه على وشك أن يخبرني عن تاريخ حياته.. فجأة سكت.. مال إلى الورا وتشنجت أطرافه واتسعت حدقه عينيه كأنما يعاني من فزع هائل.. ناديت بصوت مرتفع أطلب المساعدة:

- يا دكتور راشد.. دكتوراه صفاء.. يا اخوانا

لا رد!

بدأت أحاول إسعافه على قدر استطاعتي، وبينما كنت أقوم بذلك لاحظت أن أطرافه تسترخي تدريجياً وأن فمه يتحرك لتخرج منه كلمات غير واضحة، وظلت عباراته تتضائل حتى أصبحت همساً

يشبه الفحيح!

بعد دقائق رأيتة يفتح عينيه وينظر لي كأنه عائد من عالم آخر ثم
اعتدل مجدداً في مكانه وقال وفي صوته رجفة قوية:

- مش بيموت

- هو مين؟

هرب بنظرة ناحية الحائط ولم يرد!

تناولت ملف تقرير حالته بسرعه وزحفت ببصري حتى الصفحة
الأخيرة..

حالة فصام حاد Schizophrenia..

تذكرت أنني قرأت ذات مره أن أشباه صلاح في الغالب يشتكون
من وجود جن يطاردهم أو لعنة ما تصيبهم نتيجة أنهم قرأوا
مخطوطة قديمة أو قاموا بتحضير كيان شيطاني بالصدفة.. أعلم
كل تلك التخاريف والحكايات.. لكن لا مكان عندي للتخريف.. نحن
نعيش في عالم يحكمه المنطق.. الحياة نظام وقوانين!

قلت وأنا أحاول حمله على الحديث:

- أكيد قصدك جن.. إنت حضرت جن من غير ما تعرف وهو مش
عاوز يسيبك إلا لو قدمت له القرابين.. مضبوط؟

هز رأسه بقوة:

- لا.. شيء ثاني

- شيء ثاني زي إيه مثلاً؟

- هتصدقني؟

- هصدقك

رمقني لعوان قبل أن تعتلي وجهه ابتسامة شك فعاجلته قائلاً:

- جربني مش هتخسر حاجة

حدق في وجهي وقال:

- هجربك.. بس على عهد بينا هطلب منك تنفذه بعد لما أخلص

حكاييتي

- طيب أعرف إيه هو العهد الأول وإذا كنت أقدر أنفذه ولا لاء؟

قال في ثقة غريبه:

- متقلقش.. أنا واثق إنك تقدر.. قلت إيه؟

تبادلنا نظرات وكأننا في حلبة مصارعة... دقيقة من الصمت مرت

وأنا افكر.. وأخيراً قلت في اقتضاب:

- موافق

وبمجرد أن قلت ذلك ارتفعت ضحكته عالياً.

كانت الساعة قد تعدت العانية بعد منتصف الليل حين عدت إلى

المنزل..

دست المفتاح في ثقب الباب ودخلت.. كنت أحمل بين يدي مذكرات «صلاح» التي قام بكتابتها بنفسه خلال فترة وجوده في المستشفى، وصمم على أن أقرأها حين أعود، رغم إنني رفضت الفكرة في البداية، وكنت أرغب في سماع القصة على لسانه هو شخصيًا لكنه رفض رفضًا قاطعًا.. لم أفهم وجهة نظره في ذلك لكن استجبت له وأخذتها منه.

جلست لأقرأ المذكرات في صالة منزلي، والفضول ينهشني مثل ذئب جائع.. بدأت أقرأ.. كان أول سطر مكتوب فيه:

اسمي «صلاح».. وفي يوم كهذا قام والدي بقتل والدتي ثم انتحرا أجفلت في مكاني وأغلقت المذكرات.. كانت تلك هي الفقرة الأولى.. استغرق مني الأمر لحظات حتى أستوعب الصدمة.. يبدو أن ما سوف أقرأه لن يكون سهلًا.. ما أبشع هذا!

فتحت المذكرات مرة أخرى وعدت أكمل القراءة.

اسمي «صلاح».. وفي يوم كهذا قام والدي بقتل والدتي ثم انتحرا
نعم حدث ذلك لكنه لم يحدث فجأة أو بدون مقدمات.. نشأت في
أسرة متعالية.. كنت الابن الوحيد لرجل أعمال ثري وسيده مجتمع
وقورة.. حياتي تعتبر بمثابة حلم رائع للآخرين.. تم توفير كل شيء
لي.. كل شيء بلا استثناء.. لا أذكر أنني أردت شيء ولم أحصل
عليه.. أعيش في رفاهية مطلقه ومع ذلك كنت أشعر بالوحدة
الشديدة.. لا أصدقاء حقيقيين.. كل من يحيطون بي هم أشخاص
منتفعون..

والدي معظم الوقت في العمل أو في سفر معين لإبرام صفقة
ما.. والدتي وكما هي العادة في مثل تلك الحكايات كانت في عالم
آخر.. يومها يتأرجح ما بين جلوسها في النادي برفقة صديقاتها أو
في الجمعية الخيرية التي تتولى الإشراف عليها، وللأمانة لا أعرف
اسم تلك الجمعية، أتذكر فقط أنه ظهر لها إعلان في التلفاز لجمع
التبرعات وكان إعلانًا فاشلاً بكل المقاييس..

كما قلت لم يكن لدي أصدقاء أو حب حقيقي واعتقدت أنني سوف
أظل هكذا إلى الأبد لكن تغير ذلك حين ظهرت «رباب»..

في هذا اليوم كنت أقضي إجازة سريعة في مصيف شهير
وخرجت لالتقط بعض الصور فسأقتني قدمي إلى جهة بعيدة عن
الشاطئ.. وهناك لمحتها تسبح في البحر بمفردها.. حورية بحر على
هيئة فتاة جميلة.. وحينما ابتعدت بمسافة عن الشاطئ ارتفعت

موجة قوية وابتعلت الفتاة بغتة فأدركت أنها تغرق.. لم أتردد
واندفعت في الماء بكامل ملابسي.. بعد بضعة أمتار داخل المياه
تذكرت شيء مهم.. أنا لا أجد السباحة..

حاولت أن أتمسك بفرصتي الأخيره وأعود مره أخرى إلى
الشاطئء لكني لم أعد أراه وكان المياه ابتعلته هو أيضا.. قاومت
وضربت بذراعي وصرخت.. شعرت أن قواي تنهار وامتلت رثتي
بالمياه وأدركت أنني لن أستطيع الصمود أكثر من ذلك.. تبًا لك أيتها
الحورية.. ساموت غريقًا وستأكلني الاستاكوزا!

وأثناء قتالي على الحياة شاهدت الفتاة تسبح ناحيتي بمهارة
شديدة وسرعة.. أخرجتني من البحر بصعوبة بعد أن كدت أغرقها
معي أكثر من مره.. رمال الشاطئ جميلة حقًا ودافئه.. قلت للفتاة
وأنا أتنفس في صعوبة:

- الحمد لله.. أنقذتك

نظرت لي بغضب:

- إنت اللي أنقذتني برضه.. ده إنت كنت بتموت.. وبعدين مادام
مبتعرفش تعوم نزلت المنطقة دي ليه.. إنت مجنون.

- ما أنا قولتلك من شوية.. كنت بنقذك.. هي دي شكراً اللي
المفروض تقوليها

نظرت في وجهي ولم تتحدث.. لا أعرف فيم كانت تفكر.. تركتني
وابتعدت.. أعتقد إنها أطلقت سبة بذئية لا تناسب ملامحها الجميله..
اندفعت أجري خلفها وأنا أنفض الرمال من على وجهي:

- استني لو سمحتي.. تيجي معايا ندخل سينما.. بيعرضوا هناك
فيلم clash of titans

التفتت نحوي وصرخت في سوقية:

- يا ابني إنت إيه حكايتك.. إنت شارب ولا إيه بالضبط؟

- لا.. بس إنت حلوة

وكانت تلك هي بداية معرفتي ولقائي مع «رباب»!

رغم اختلاف شخصيتها عن شخصيتي إلا أنه سرعان ما توطدت
العلاقة بيننا وتبادلنا اللقاءات.. أخبرتني أنها تعمل في كافيتريا على
الشاطئ.. والدها متوفي ووالدتها امرأة بسيطة تكافح في الحياة.

رباب كانت صنف مختلف من الفتيات.. كثير من الطموح.. كثير من
العمل.. وكثيرا جداً من الجمال.. جمال كالصباح الجديد.

تقدمت لخطبتها واتفقنا على الزواج خلال بضعة شهور رغم
الاعتراض الشديد من والدتي بسبب تواضع أسرة رباب.. أما والدي
فلم يكن مهتماً.. ربما ظن أن تلك مجرد نزوة وسأعود إلى رشدي..

في تلك الفترة كان هناك أمر خطير يدور في الخفاء لم أعلم عنه
أي شيء إلا بعد فوات الأوان.. والدي يخسر جزء كبير من أمواله
في أحد المشاريع الكبيرة.. يحاول أن يتدارك خسائره ويدخل في
مشروع آخر وقرض كبير من البنك.. تنهار الأمور ويفشل المشروع
لأسباب خارجة عن إرادته!

تدرجياً بدأت ألاحظ أن الأحوال ليست على ما يرام.. كنت غر

ساذج ولم أعط الاهتمام الكافي لما يحدث واعتقدت إنها مجرد أزمة عابرة وسوف تمر.. مجرد مشاكل ووالدي سوف يقوم بحلها كالعادة..
المسالة بسيطة ولا داعي للقلق!

وفي ذات يوم اشتكى والدي من ألم غريب في صدره.. ثم صدمنا حين تقيأ دماء داكنه من فمه.. ولم تمض دقائق حتى رأيت جفنيه يتماقلان وخبأ بريق عينيه بسرعة.. نقلناه إلى المستشفى بسرعه لنكتشف إنه مريض بمرض في غاية الخطورة.. كنت في حالة ارتياح رهيبه!

بعد أسبوع عاد والدي إلى المنزل وكأنه شخص آخر.. صار حزينًا صامتًا وحين تحدثت معه أخبرني أن اللعبة انتهت!

ثلاثة أيام مضت بعد عودته وفي اليوم الرابع استيقظت على صياح.. صياح وشجار في الطابق العلوي.. حاولت أن أسيطر على أعصابي وأقول لنفسي إنه سوف ينتهي الآن.. والدي ووالدتي لا تتجاوز مدة شجارهم في الغالب أكثر من خمس دقائق..

فجأة سمعت صوت طلقة نارية مرعبه تردد صداها كالمدافع.. قفزت من مكاني مسرعاً وأنا أنادي أو أصرخ.. لا أعلم في الحقيقة ماذا كنت أقول..

الباب كان مفتوحاً وفي منتصف الغرفة شاهدت والدي يرتجف كريشة في مهب الريح وهو ممسك مسدس ضخيم يخرج منه خيط دخان مرعب وعلى الأرض جثة والدتي جاحظة العينين وفمها مفتوح عن آخره يرسم صرخة لم تستطع أن تخرجها، وهناك ثقب مرعب في رأسها تخرج منه الدماء راح يتسع تدريجاً حتى كاد أن يبتلعني..

قلت لنفسي هذا كابوس وسأستيقظ منه دون شك.. المسألة مسألة وقت..

حاولت الحركة فشعرت أن سيقاني تجمدت كأعواد من الحديد وأنا أشاهد والدي يرفع المسدس باتجاهي ويقول بصوت مبحوح:
- أنا آسف يا صلاح

أغمضت عيني وسمعت صوت طلقة نارية ثم ارتطام شيء ثقيل بالأرض..

ابتسمت للحظة.. الآن سوف أستيقظ من هذا الكابوس اللعين وأجد نفسي في غرفتي..

ببطء فتحت عيني فشاهدت أمامي جثتين!

الأيام التالية لم يستطع ذهني استيعاب أن الأهل ماتوا وأن الحياة قد تبدلت إلى غير رجعة فهذا شيء لا يمكن أن يكون حقيقة.. وحتى بعد أن استولى البنك والدائنون على كل شيء لم أكن أصدق.. هذا الكابوس واقعي أكثر من اللازم!

تحولت حياتي بفترة إلى النقيض.. بلا مال ولا أملاك ولا أهل.. قضيت فترة في حالة انهيار عصبي.. اعتقدت أنني ساموت بعد شهر واحد أو شهرين على الأكثر لكن اكتشفت أنني أكثر صلابة وقوة مما كنت أتخيل.. لا أذكر كل التفاصيل التي حدثت بعد ذلك.. أذكر فقط أن «رباب» وقفت معي وقفة بنت أصول ولم تتركني لحظة.

- صدقني يا صلاح هي الدنيا كدا.. لازم تعرف إن في حاجات قاسية ممكن تحصل خارج إرادتنا وغصب عنا.

- أنا مش قادر أستوعب كل المصايب دي يا رباب

- الحل الوحيد علشان تقدر تكمل حياتك هو إنك تستوعب إن مكنش في حاجة إيدك تقدر تعملها.

قالتها وأمسكت يدي وضممتها إلى صدرها في حب!

تزوجنا وعشنا سوياً في شقة ضيقة داخل حارة شعبية، الحياة كانت صعبه لكنها لم تكن مستحيلة.. عملت «حتوجي» عند بائع جائل في وسط البلد مقابل خمسين جنيه في اليوم، كان البائع يقوم بعرض بضاعته في الشارع وكنت أنا وأربعة «حتوجية» آخرين نقف وكأننا نقوم بالشراء ونصنع زحاً غير حقيقي لنجذب الزبائن.. نوع من أنواع الغش لكنه غش مشروع مثل إعلانات الفود بلوجرز..

عملت بعد ذلك في متجر بيع كتب شهير براتب جيد وأصبحت أموري مستقرة إلى حد ما ثم رزقت بأول مولود.. «نورا».. طفلة جميلة تمتلك جزءاً كبيراً من ملامح والدتها..

انتقلت مع أسرتي إلى شقة أخرى في نفس المنطقة لكنها أوسع، واشترت سيارة صغيرة تتسع لنا بالكاد، فيات موديل ١٢٨.. وبعد مرور خمسة أعوام مات صاحب المتجر وأخبرني ابنه الوحيد أنه سيبيع المكتبة وعرض على الفكرة أولاً.. كنت أرغب بالطبع في شرائها رغم أن المبلغ كبير ولهذا طلبت منه فرصة وبعض الوقت لأفكر في الأمر جيداً ولتدبير المال اللازم..

في تلك المرحلة لم أكن أرغب في تحمل المخاطرة المالية وإنفاق كل مدخراتنا والاقتراض من البنك، ولأول مره منذ سنين أشعر بقلق بالغ.. هناك مسئولية بالغة ملقاة على عاتقي تتمثل في زوجة وابنة.. أحتاج إلى التفكير وعدم التسرع في اتخاذ القرار خصوصًا أن فرصة شراء المكتبة وأن أصبح صاحب عمل سوف تضمن لي ولهم حياة آمنة فيما بعد!

حين عدت للمنزل كانت رباب تستعد لتناول حقنة مرض السكري الذي أصابها بعد الولادة.. شاهدتها تلتقط قطعة من جلد بطنها وتغرز إبرة المحقن في الطبقة الدهنية ما بين العضلة والأضلاع، وبعد إن انتهت ارتعشت للحظة ثم وضعت قطعة من القطن.. اقتربت منها ووضعت يدي على كتفها في حنان:

- أنت كويسة؟

هزت رأسها دلالة على الإيجاب رغم أن ملامحها تقول غير ذلك.. سألتني باهتمام:

- عملت إيه في موضوع المكتبة؟

غمغت قائلاً:

- لسه بفكر

- دي فرصة مش هتتعوض

قلت في اقتضاب:

- عارف

ناولتني كارت أنيق وقالت:

- صاحب الكارت ده جه ليك من شوية وسأل عنك.. بيقول إنه عاوزك في موضوع مهم جدًا.

قرأت الاسم بسرعة.. الأستاذ «فوزي» المحامي.. قدحت زناد ذاكرتي.. الاسم ليس غريبًا.. أعتقد أنه نفس اسم محامي والدي.. قد يكون هو.. وقد يكون لا.. سوف أتصل به غدًا.. هكذا قلت لنفسي!

اليوم التالي وخلال طريقي لشراء بعض مستلزمات المنزل تذكرت كارت الأستاذ فوزي.. قمت بالاتصال به من باب الفضول.. لم يخبرني بالشيء الكثير.. قال وهو يرواغ في الكلام:

- لما نتقابل هتعرف كل التفاصيل.. بس صدقني الموضوع خير ليك

- فيه فلوس؟

سمعت ضحكته:

- بالتأكيد

- أنا جاي حاليًا

- وأنا في انتظارك

انهيت معه المكالمه وقمت بتغير طريقي مباشرة دون أن أعلم أن المأساة على وشك الحدوث.

بعد حوالي ساعة كنت قد وصلت إلى عنوان الأستاذ فوزي.. عماره ضخمة تبدو كقبضة حديدية تضرب السماء.. عبرت مدخل العماره فلاحظت أن جدارنها ملئية بالإعلانات الملونة للمكاتب والعيادات.. خمنت بسرعة أن المبني بالكامل مخصص للشركات..

كان المصعد متوقفاً بسبب تخفيف الأحمال وانقطاع الكهرباء فصعدت ستة أدوار على قدمي.. وصلت إلى شقة مكتب الأستاذ فوزي وهناك شاهدت مساعدته الشخصية تجلس وتضع سماعات هيدفون في أذنيها وتبدو مندمجة تماماً مع ما تسمع لدرجة أنها لم تنتبه لي حين دخلت..

اقتربت منها فاستشعرت وجودي في تلك اللحظة واعتدلت في مكانها بسرعة وحاولت أن ترسم ابتسامه مرحة على وجهها.. أخبرتها عن اسمي وعن سبب قدومي مع التركيز أن الأستاذ فوزي هو من طلب لقائي.. قالت بصوت كأنه يخرج من أنفها وهي تنهض:

- أهلاً بحضرتك.. الأستاذ في انتظارك

وأرشدتني إلى غرفة مكتب الأستاذ فوزي وطرقت الباب طرقة خفيفة لأسمع صوت هادئ يأذن لي بالدخول:

- اتفضل

دفعت الباب بيدي ودخلت.. الغرفة واسعة بسيطة الأثاث.. رائحتها رائحة بخور نفاذ.. في أحد الأركان مكتبة ضخمة ملئية بالمجلدات القانونية.. في المواجهه يجلس الأستاذ «فوزي» وراء مكتب أنيق.. فوق مكتبه وضع فنجان من القهوة ومنفضة سجائر.. كان رجل كبير

في السن ربما يتجاوز الخمسين بقليل، وجهه ضئيل ونحيف، ذقن قصيرة، يضع نظارة ذات إطار أسود!

بمجرد أن رأيته نهض من مكانه بسرعة.. مد يده ليصافحني.. صافحني بحزم ورحب بي في حفاوة بالغة وتحدث معي كأننا أصدقاء منذ زمن.. بعد قليل جاءت السكرتيرة فسألني باهتمام:

- قهوتك يا صلاح بيه؟

- مضبوط لو سمحت

التفت الأستاذ فوزي إلى السكرتيرة:

- قهوة مضبوط للأستاذ صلاح يا منى.. بس من البن المخصوص بتاعي

وأشار لها بالخروج بطرف إصبعه ثم انتظر حتى أغلقت الباب وراها والتفت لي وهو يبتسم نصف ابتسامه قائلاً:

- أصل مش بيخرج غير للحبايب بس

ثم صمت للحظة وعاد يكمل كلامه:

- المهم أنا عارف إنك دلوقتي عمال تسال نفسك ايه الموضوع المهم اللي عاوزك عشانه بعد كل السنين دي.

وأخرج مخطط يشبه خريطة صغيرة لمكان صحراوي وأشار إلى نقطة:

- شايف المكان ده.. دي أرض اشتراها والدك زمان من ضمن الحاجات الكثيره اللي كان بيشتريها.. وهى تقريباً الحاجة الوحيده

اللي اتبقت ليك.

قلت في حيرة:

- اللي أعرفه إن البنك استولى على كل شيء!

هتف قائلاً:

- ده صحيح.. بس الأرض بعد لما والدك اشتراها كتبها باسمك إنت.

نظرت له في شك:

- يعني هي ملكي؟!

هز رأسه:

- بالتأكيد

قلت بعد صمت قصير:

- وليه افكرتني دلوقتي؟

تنهد وقال بطريقة مسرحية:

- أنا دورت عليك كتير أوي بعد وفاة المرحوم والدك.. كنت عاوز

أقف جنبك بس إنت زي فص ملح وداب.. ولسه بس من كام يوم

عارف مكانك بالصدفة.

شعرت في نفسي بشيء من التوجس وسألته:

- وبعدين؟

ابتسم كما لو أنه فاز للتو بجائزة:

- من حوالي شهر في شركة استثمار عقاري جديد بدأت تتوسع في المنطقة، ومن حسن حظنا إن الأرض ضمن خطتها الجاية، وعشان كذا هي مقدمه عرض كويس جداً لشراء المكان، وأنا شايف إن دي فرصة متتعوضش.

بات الموضوع الآن واضحاً.. رأيت بعين الخيال شركة الاستثمار تبحث عن صاحب الأرض لتطوير مشروعها.. تصل إلى الأستاذ فوزي.. تتفاوض معه.. يحدث بينهم اتفاق.. وبالتالي هو يبحث عني لينهي الأمر.

في تلك اللحظة دخلت السكرتيرة وهي تحمل فنجان قهوة ووضعته أمامي وهي تقول بصوتها الرفيع الذي يخرج من أنفها:

- اتفضل

وخرجت بسرعه قبل أن تسمعني وأنا أشكرها!

ارتشفت رشفة صغيرة من فنجان القهوة فاكتشفت إنها سئية جداً ويبدو أن الأستاذ فوزي لمح امتعاضي فقال:

- أصل «منى» مبتعرفش تعمل القهوة

- واضح بصراحة

ثم وضعتها جانباً وقلت:

- خرينا في المهم.. أكيد ليك نسبة في البيع؟

غمغم كأنه لا يهتم:

- نسبة مش كبيرة.. ٢٥% من قيمة مبلغ التعاقد

كدت أن أعترض لكنه أضاف في سرعة:

- ومتنساس إن معظم أوراق الملكية معايا

عدت أسكت مرة أخري قبل أن أساله:

- كام المبلغ المعروض؟

شد سحاب حقيبته الجلدية وأخرج شيكاً وضعه أمامي.. ألقيت عليه نظرة خاطفة وانتقلت عيناى على الفور على الرقم المكتوب بينما قال الأستاذ فوزى في نفس اللحظة:

- انهارده يوم سعدك.. مليون جنية.. عرض لا يمكن رفضه

في فيلم الأب الروحي الذي شاهدته مؤخراً كانت عبارة «عرض لا يمكن رفضه» تنتهي دائماً ببركة من السماء.

سألتنى رباب في قلق:

- صلاح.. إحنا فين دلوقتي؟

- الطريق الصحراوي

- عارفه إن إحنا على الطريق الصحراوي.. فين بالضبط؟

تنهدت وأنا أسترجع في مخيلتي بقية اللقاء الذي دار بيني وبين الأستاذ فوزي بعد أن أخبرني بالمبلغ المعروض.. وقتها شعرت برغبة ملحة للقفز في الهواء من السعاده حين سمعت الرقم.. مبلغ هائل لم أكن أحلم به يوماً.. مبلغ كفيل بتغيير حياتي رأساً على عقب.. ثمن شراء المكتبه صار متوفر ولم يعد هناك عائق.. تخيلت نفسي أقف في المكتبة وأنا أدير العمل.. كل أحلامي سوف تتحقق.. لكن فجأة اعترتني نوبة من الخوف الحقيقي.. ماذا لو كانت قطعة الأرض تساوي أكثر من المبلغ المعروض؟

لا لن أبيع الآن.. شعرت أن الأستاذ فوزي يُضمر شيء ما.. أخبرته أنني أحتاج بعض الوقت للتفكير وللسؤال.. قال في صرامة:

- براحتك.. بس ده عرض لمرة واحدة.. ممكن الشركة في أي وقت تشتري أرض ثانية وتخرج من المولد بلا حمص.. فكر بسرعه ورد عليا

صافحته وأنا انهض:

- اتفقنا

خرجت من مكتب الأستاذ فوزي وأنا أحاول السيطرة على أعصابي.. أنا لست طفل صغير حتى يعتقد هذا المحامي الجشع أنه يستطيع التلاعب بي، وقررت أن أذهب وأعين المزرعه بنفسني!

في تلك الليلة رأيت نفسي أقف في مكان مقفر أمام بيت قديم لم أشاهد مثله من قبل.. السماء مظلمة تماماً وضباب كثيف يخرج من الأرض وفي نفس الوقت سحب داكن يهب فوق رأسي مباشرة كأنني محاصر.. أعلم ان هذا كابوساً وعقلي يخبرني بذلك ورغم هذا لا أستطيع الخروج منه!

باب المنزل كان موارباً غير مغلق.. دفعت الباب بيدي ودخلت.. سمعت صوت خشن ينادي باسمي:

- صلاح.. صلاح

في الداخل رأيت شيخ عجوز وجهه أسود يرتدي جلباب قصير ويمسك في يده سبحة من الكهرمان.. أشار لي بأن أتبعه قلت:

- إحنا رايعين فين؟

لم يرد.. سار قليلاً ودخل أحد الغرف.. غرفة ضيقة تشبه القبور ولها سقف يكاد يلامس رأسي!

انحنى العجوز على الأرض وقام برسم نجمة الشيطان الخماسية ووضع على رأس كل طرف من أطراف النجمة شمعه سوداء غليظة الساق ثم أحاط كل ذلك بدائرة وطلب مني أن أجلس في منتصفها فجلست..

بعد قليل ظهرت امرأة يغطي الشعر جزء كبير من وجهها وكامل

ظهرها.. ملامحها غير واضحة لكن بشرتها بيضاء كالحليب.. اقتربت مني وهي تحمل جمجمه كأنها كأس ووضعتها أمامي وقالت:

- اشرب

داخل الجمجمة كانت توجد دماء تفور كأنها تغلي!

بدون إرادة مني رفعت الجمجمة إلى فمي وشربت.. توقعت أن يكون الطعم كريبه أو مقزز ولكن للغرابة كان يشبه السكر المخلوط بماء الورد!

انتهيت من شرب كل الدماء وبمجرد أن فعلت استطالت الحوائط من حوالي وكأنها هلام مطاط وأصابني رعدة قوية.. مالت ناحيتي الفتاة ولأول مره أشاهد وجهها كاملاً.. عيناها مشقوقتان وفمها مغلق بخيوط بسوداء.. اختطفت مني الجمجمه وجرت من أمامي على كلتا يديها وساقيتها مثل الحيوانات، وسمعت صوت خشن ينادي باسمي!

- صلاح.. صلاح

استيقظت وأنا أصرخ..

حين أخبرت رباب بتفاصيل الكابوس تمتت بالآيات الحافظات وقامت بتشغيل الرقية الشرعية لحرق أي معاكسات أو جن يسكن في البيت!

في منتصف اليوم اصطحبت معي «رباب» التي صممت على أن تلازمي وتركنا «نورا» مع جارتنا المسنة، ركبنا السيارة وها أنا أسير على الطريق منذ ما يقرب من الثلاث ساعات تقريباً.. الغريب أن رباب

لم تتوقف عن الحديث منذ أكثر من ساعة كاملة وهذا شيء عجيب فيها.. رفعت صوت الراديو لتتوقف قليلاً عن الكلام لكنها أطفاته وقالت:

- عندي صداع

- سلامتك

ثم أشرت بيدي إلى الأمام وأكملت:

- شايفه.. المفروض إن أرضي هي اللي هناك دي

ضيق رباب عينيها وقالت:

- أنا مش شايفه قدامي غير صحراء.. إنت ماقلتش لي إنها بعيدة

أوي كدا

التفت لها وقلت في حده:

- لا قلت بس إنت اللي صممتي تيجي

توقعت أن تصمت حين قلت ذلك لكن فجأة انفجرت تعابير وجهها

واتسعت حدقة عينيها وصرخت:

- صلاح...

صرختها جعلتني انتبه للطريق.. رأيت شيء يرتطم في مقدمه

السيارة وأدركت أن الآوان قد فات.. ضربت دواسة الفرامل بقدمي

بكل قوتي.. دارت السيارة على الطريق وحاولت السيطرة عليها

بصعوبة حتى توقفت!

تصبب العرق على وجهي وشعرت بأصابعي باردة مبتلة.. هتفت
رباب وقد صار وجهها شاحبًا كالأموات:

- دهسنا حد؟!

قالت ذلك ثم فتحت باب السيارة ومالت خارجها وتقيأت.

أطفات المحرك وهبطت من السيارة لأرى ما الذي صدمته.. كنت
أرتعش وأنا أتحرك وأحاول ألا أتعر بسبب الخوف.. شاهدت بقعة
دماء حمراء زاهية تفترش الأسفلت ومن خلفها آثار وعلامات
إطارات السيارة!

ماذا سأفعل لو اكتشفت أنني دهست شخصًا وأن هذا الشخص
قد مات؟ هذه جريمة قتل غير متعمدة.. سوف أسجن ربما ثلاث
سنوات..

نبضات قلبي ترتفع برتم مُرعب كلما اقتربت..

صوت الرياح يبدو كالشهيق والزفير..

تجمدت في مكاني..

شاهدت جسد ضخم وكومة من الشعر.. كلب أسود كبير ميت
نتيجة الاصطدام.. انحنيت جواره ونظرت.. الغريب أن عنقه ممزق
كأن هناك أسنان عملاقة قامت بذلك!

أزحت الكلب إلى جانب الطريق وخمنت أنه كان يحاول الفرار من
حيوان مفترس قبل أن أرتطم به.. عدت إلى رباب أحاول طماننتها

وأخبرتها أننا صدمنا حيوانًا وليس إنسانًا لتهدئ قليلًا لكنها استمرت في البكاء قليلًا.. تركتها فترة حتى تفرغ كل مشاعرها ثم سألتها بعد برهه:

- بقيتي كويسة؟

مسحت وجهها بمنديل ورفعت بصرها نحوي قبل أن تقول في صوت مختنق:

- أنا تمام

أدرت السيارة من جديد وانطلقت بها.. قالت رباب بعد فترة صمت:

- أنا بدأت أتشائم.. إيه رأيك تلف بالعربيه تاني وترجع تقول للأستاذ فوزي إنك موافق على البيع و... قاطعتها:

- لا.. مش قبل ما أشوف الأرض بنفسي.. وبعدين أنا عرفت إن عليها بيت كبير بناه والدي زمان.. يعني أكيد كل ده بفلوس

صمتت للحظة قبل تتهد قائله:

- براحتك.. أنا بقولك إحساسي.. وطول عمري إحساسي بيطلع مضبوط

- على العموم إحنا خلاص وصلنا أرض المشروع

المنطقة بالكامل يوجد بها لافتات موزعه هنا وهناك.. كل لافتة مستقره فوق عصا بيضاء مغروسة في الرمال ومكتوب فوقها اسم صاحب الأرض ورقمها ومساحتها التي هي في الغالب خمسة أفدنة..

موجود على كل قطعة أرض بيت صغير ومخزن مستطيل الشكل..
كل البيوت مصفوفة في خط مستقيم رغم بُعد المسافات بينهم..
أعتقد أن هذا كان تمهيدًا لمشروع استزراع أراضي وفشل!

نزلت من على الطريق بالسيارة وبحمت قليلاً حتى وصلت إلى
المزرعة وتأكدت من أن الرقم الموجود على اللافتة هو نفس الرقم
الذي أخبرني به الأستاذ فوزي.. كانت مُمِيزة بالفعل.. تعتبر أول
قطعة في المشروع والأقرب للطريق السريع!

أخيراً وصلنا.. توقفت بالسيارة أمام المنزل وأطفأت المُحرك..
المنزل مكون من طابقين، يتكدس الغبار على نوافذه وأبوابه.. حوله
حديقة محاطة بسور من الطوب الأبيض، ولكن الحديقة لم تكن بها
أي نباتات حية، كل الأشجار ميتة والشجيرات مجرد أغصان خشبية
طويلة بلا أوراق خضراء.. قالت رباب في خوف وهي تنظر حولها:

- كل حاجة ميتة!

ثم أضافت وهي تهبط من السيارة:

- مفيش مخلوق عايش هنا!

وحين لم أرد عليها التفت لي وهتفت بشيء من عدم ارتياح:

- صلاح.. إنت مش بتتكلم ليه؟

كنت في تلك اللحظة متجمد تمامًا في مكاني.. هذا المنزل هو الذي
شاهدته في الحلم.

أفقت من ذهولي وتقدمت أنا ورباب اتجاه المنزل.. طلبت منها أن تنتظرني حتى أستكشف المنزل أولاً لكنها رفضت الانتظار.. أشعلت كشاف هاتفي ودخلت وهي ورائي..

داخل المنزل واجهني منظر مُرعب.. حشرات تلتصق بالجدران مثل جيوش الظلام المتربصة.. توجد بعض قطع الأثاث المتناثرة هنا وهناك.. الظلال منتشرة في الزوايا المظلمة.. الستائر تتدلى بلا حياة كالأطياف المفقودة.. قلت:

- الوضع أسوأ مما كنت أتخيل

بحثت بأناملي عن مقبس النور وضغطته فلم يبدد الظلام.. حاولت فتح النوافذ لأدخل الهواء والشمس، وحين فعلت هبت رياح باردة، واختفت كل الحشرات دخل بعض الشقوق..

صعدت السلم الداخلي للطابق الثاني، ولفت نظري الحائط المنقوش كسجادة نقشت بفروع أشجار قاتمة، وخلال صعودي شعرت بوجود شيء يندرنى بالخطر، شعور غامض يتسلل إلى صدري.. قررت تجاهل هذا الإحساس وأكملت صعودي لأجد بابين أحدهما مفتوح والآخر مغلق وشاهدت شيئاً يُشبه الجسم البشري يجري بسرعة ويختفي في أحد الغرف.. هذا الشيء بدا وكأنه شبح يندفع في الظلام.. كانت حركته سريعة ومتوترة، كما لو أنه يهرب ولا يريد أن تلتقطه العين!

- مين.. مين هنا..؟

تجاوزت مخاوفي وتقدمت نحو باب الغرفة المفتوحة بحذر، ومع

كل خطوة أقوم بها، يتسع حجم الرعب في داخلي..

عندما وصلت، سمعت صوتاً يتردد في أذني، يبدو كالهدير الملعون، وكأن الظلام نفسه يناديني لأدخل ، لاكتشف السر الخفي وراء هذا الجسم الذي يبدو مهووساً بالهرب!

دخلت وأنا مستعد لمواجهة ما قد يظهر أمامي لكن لم أجد شيئاً مخيفاً، مجرد ظلام ولا شيء آخر!

بعد لحظات سمعت صوت رباب وهي تنادي علي من الأسفل، صوتها يبدو كما لو كانت بعيدة جداً، بالكاد أستطيع سماعها.. رفعت صوتي:

- حاضر.. حاضر

في تلك اللحظة شعرت أن هناك من يقف خلفي!

التفت بسرعة.. شاهدت أمامي رجل يشبهني تمامًا كما لو كان نسخة أخرى مني.. نفس الملامح.. نفس الملابس.. نفس التوتر والخوف.. إنه أنا.. فقط يوجد اختلاف واحد.. عيناه كانتا سوداوين تماماً كأنهما نافذتان لروح مظلمة تراقب كل خطوة أقوم بها!

ببطء مخيف تحرك هذا الشبيه نحوي ببطء بخطوات مهزوزة، وكلما تحرك بدا أكثر رعباً، اقترب مني وفتح فمه، أسنانه مرتبة بشكل مخيف وحادة للغاية، ثم صرخ، ومع صراخه اختفى بشكل مفاجئ تاركاً وراءه شعوراً مربعاً يخيم على المكان!

- صلاح.. مالك واقف متجمد كدا ليه؟

انتبهت على صوت رباب التي اقتربت مني وهي تنظر لي في توتر
وتساؤل ثم عادت تقول:

- مبتردش ليه؟

اعتبرت أن ما حدث مجرد وهم أو خيال.. قلت لها وأنا آخذ بيدها
لنهبط إلى الطابق الأول:

- لا.. أبدا مفيش حاجة.. يلا بينا ننزل

نظرت لي في شك:

- ملامحك بتقول غير كدا

حاولت تغيير الموضوع وقلت:

- أنا اكتشفت إن البيت مش بايظ قوي.. الموضوع كله محتاج
تنظيف ونشيل التراب ودهان جديد.. أسبوع بالكثير وأوعدك إن
البيت ده هيبقى زي الفل.

هتفت في قلق:

- ليه طيب؟ إنت ناوي تعيش هنا ولا إيه؟

لوححت بيدي:

- على الأقل تجهزه مش هنخسر حاجة

وبالفعل بدأنا معاً في تنظيف المنزل، وتخلصت من بعض الفوضى
والقيتها في الخارج..

قمت بتوصيل الكهرباء التي اكتشفت أنها تعمل بشكل جيد، فقط
بحاجة إلى تركيب مصابيح جديدة..

على نهاية اليوم، شعرنا بالتعب.. أرادت رباب الرحيل والعودة
في صباح اليوم التالي أما أنا فكنت أريد البقاء لاستغلال كل دقيقة
ممكنة..

لم تمهني رباب فرصة للنقاش أو حتى لمحاولة إقناعها بتغيير
رأيها.. أخذت نفسها وركبت السيارة وأشارت لي بالقدوم حالاً:

- يلا يا صلاح

استلست للأمر الواقع:

- تحت أمرك

كانت رحلة عودتنا من هناك سريعة جداً.. غدنا فرحين رغم ما نالنا
من تعب وتوتر.. لماذا؟.. لا أعرف.. هذه مسألة لا زلت أفكر فيها حتى
الآن.

الساعة التاسعة صباحاً..

أنهيت مكالمة مع الأستاذ فوزي الذي تعجل ردي عليه بخصوص مسألة البيع.. طلبت منه مزيد من الوقت.. أخبرته بشأن المنزل والمخزن الموجدين هناك.. لا بد من وضعهم في الحساب حين يتم الاتفاق.. كنت أتحدث بعقّة شديده.. ضحك قائلاً:

- كل حاجة محطوبة في الحساب.. لا تقلق

قلت في حدة:

- المكان هناك يسوى أكثر بكثير يا أستاذ وحرفياً أنا بفكر في طلب راشده ده غير إن نسبتك في العقد كبيرة.. قلت إيه؟

وابتسمت في قرارة نفسي وأنا أتخيل الأستاذ فوزي في تلك اللحظة.. بالتأكيد يشعر بالغضب.. سوف يوافق في النهاية على تخفيض نسبته.. لن أزيده أكثر من ٥%.. كنت أسمع صوت أصابعه وهى تنقر على خشب مكتبه.. أنفاسه وهى ترتفع تدريجياً.. قال بعد فترة:

- انسى البيع

وأنهى المكالمة!

للحظة لم أستوعب ما حدث أو ماذا قال.. ضحكت.. ثم قهقت في عصبية.. حاولت الاتصال به مُجدداً.. ثم مره تلو الأخرى.. لا ردى.. أغلق هاتفه في وجهي!

سألتنى رباب حين لاحظت حالتى:

- إيه اللي حصل؟

خرجت من حالة الصدمة التى كنت فيها وقلت:

- كله تمام.. طلب منى أرجع البيت وأكمل إصلاحات.. بيقول إن ده هجيب فلوس أكثر

نظرت لى فى عدم تصديق وقالت:

- يعنى هو قال لىك كدا؟

- آه.. طبعا

ثم نهضت:

- أنا رايح الأرض

قاطعتنى باستنكار:

- فجأة كدا.. طيب استنى لما آجى معاك

صحت فى حده:

- لا.

واختطفت معطفى من الشماعة وأسرعت بالخروج..

فى طريقى إلى هناك تحولت حالة الصدمة إلى غضب وتحدي..
سوف أعيد بناء كل شىء هناك وساقوم ببيعها بسعر أكبر رغم أنف
الجميع ولن يوقفنى شىء!

تحسباً للظروف اشتريت بعض الأغذية الضرورية مثل معلبات الجبن واللحم والخبز وزجاجات مياه معدنية..

حين وصلت هناك بدأت أعمل بكل طاقتي.. توقعت أن أنتهي من تجهيز المنزل حتى يصبح صالح للمعيشة لكن قبل الغروب أدركت أن ما زال أمامي الكثير وأن المشوار طويل.. كنت أمام خيارين.. إما العوده أو المكوث هنا.. قطع تفكيري صوت رنين الهاتف من رقم غير مسجل:

- ألو.. صلاح

صوت امرأة مميز جداً ومألوف لكن لم أستطع وقتها أن أتذكر من تكون.. قلت:

- مين معايا؟

- أنا منى

تذكرت الآن.. منى.. سكرتيرة الأستاذ فوزي التي تتحدث من أنفها.. عادت تقول:

- مش فاكرني؟

- لا.. طبعا.. فاكرك..

- بكلمك في وقت مش مناسب؟

هتفت قائلاً:

- أكيد لأ.. معلىش أنا متوتر شوية.. اتفضلي أنا تحت أمرك

- أنا عرفت إن الأستاذ فوزي متضايق منك.. معاه حق بصراحه..
الراجل جايب مشتري كويس للأرض ودور عليك و...

قاطعتها:

- دي أرضي

- بس مش هتعرف تبيعها.. الورق الخاص بيها مع الأستاذ فوزي
و...

قاطعتها مره ثانية:

- أكيد في طريقه أجيب نسخة

- وعشان كدا بكلمك

- مش فاهم؟

قالت في خبت:

- أنا أقدر أجيب الورق اللي مع الأستاذ فوزي مقابل مبلغ بسيط

غمغت في حذر:

- هتسرقيه؟

ضحكت في عصبية:

- حاجة زي كدا.. إنت المهم عندك إن الورق يكون معاك.. قلت إيه؟

- آسف.. بس مش هي دي الطريقة اللي أوصل بيها لحاجة من

حقي

صاحت في حدة:

- بلاش تكون معالي زيادة عن اللزوم.. الممايلة مش كل حاجة

قلت في حزم:

- والفلوس برضه مش كل حاجة

هتفت في غضب:

- تفتكر؟

- اعتبريني دقة قديمه.. سلام

قلت ذلك وأنهيت معها المكالمة..

ارتيمت فوق السرير الصغير الذي قمت بتجهيزه..

صمت وسكون وهدوء..

المفترض أن أنام الآن.. الغريب أن جسدي مُنْهك تمام لكن عقلي يبدو نشطاً على نحو غير طبيعي..

مرت ساعة كئيبة حتى شعرت اني أتخشب بالإضافة إلى حرارة الجو التي بدأت تزيد من حولي..

وأخيراً قررت الخروج للتجول قليلاً في المنطقة دون أن أعلم أن تلك الليلة سوف تكون واحدة من أخطر الليالي رعباً.

كانت السماء معتمة حين خرجت.. ركبت السيارة وانطلقت أتجول في المنطقة.. كل شيء يبدو خاوياً.. لا يوجد أحياء.. الأراضي

والمنازل مهجورة على نحو عجيب!

درت دورة في المنطقة حتى وصلت عند محطة وقود قديمة لها
عامود إنارة وحيد وسقف متداعي يوشك على الانهيار، وأمامها
يجلس رجل يرتدي جلبابًا واسعًا، يمسك كوب شاي ساخن، ويجلس
مسترخيًا، بجانبه راديو عتيق ينبعث منه صوت عبدالوهاب وهو
يغني:

جاين الدنيا مانعرف ليه

ولا رايحين فين ولا عايزين إيه

أخرجت رأسي من النافذة وألقيت عليه السلام.. كان كهل أسمر
نحيف ذو ملامح صارمة ولحية شبه نامية.. نظر لي وسألني في
انزعاج:

- وعليكم السلام يا بني.. إنت تايه ولا إيه..؟

ابتسمت:

- أبدا.. أنا صاحب الأرض اللي هناك دي واسمي صلاح

التفت إلى حيث أشرت ثم قال:

- أهلاً و سهلاً.. وأنا جابر الصعيدي

- أهلا بيك

- خير.. إنت هتسكن فيها ولا إيه..؟

قلت في سرعة:

- لا.. أنا جاي أوضب البيت والأرض عشان بفكر أبيعهم

فتح فمه لينطق بشيء ما لكنه صمت للحظة ثم قال باقتضاب:

- ربنا يعينك

- هو إنت شغال هنا من زمان..؟

هز رأسه:

- من زمان أوي.. مبقتش أحسب الأيام ولا السنين

قالها ثم أشار لي:

- تعال انزل اقعد اشرب معايا شاي

كان جسدي بدأ يرتعش من برد الصحراء.. قلت وأنا أخرج من

السيارة:

- زي الفل

وبالفعل جلست معه وبمجرد أن استرحت قليلاً سألته:

- بس إنت يعني مش خايف إنك قاعد لوحدك بالليل متأخر كدا؟

اتسعت ابتسامته لعانية ثم ناولني كوب شاي وقال:

- الخوف مات عندي من زمان

سألته وأنا أرتشف رشفة قصيرة:

- إنت أصلاً من هنا يا جابر؟

لوح بيده وهو يجيب:

- أنا من بلاد ربنا.. كل الأض بتاعت ربنا

ثم أشار لسيارتي وقال:

- عربيتك حلوة، ربنا يدك خيرها ويكفيك شرها وشر «شيصبان»
سألته في لهفة:

- ويطلع إيه شيصبان ده هو كمان؟

سكت قليلاً ثم بدا يحكي لي أغرب ما سمعته في حياتي

قال جابر في هدوء مرعب:

- شيصبان جن، جن ملعون كان خادم ملك من ملوك الجن السلفي، الملك «ميمون أبانوخ» زعيم قبيلة «بني غيلان».. وفي يوم «شيصبان» وقع في غرام بنت أنسية من بنات الفجر اللي كانوا عايشين هنا زمان وأمها كانت بتمارس السحر والشعوذة.. اتجسد للبنت في هيئة شاب وسيم، ووقعت في غرامه وإتجوزته، وخلفت منه، لحد ما بالصدفة عرفت حقيقته.. كانت صدمه لها وخذت عيالها وهربت منه.. وعلشان ميقدرش يوصل لها، أمها ربطت عليه سحر أسود قديم خلته محبوس هنا في الصحراء مبيخرجش منها وعمال يلف فيها ليل ونهار وكأنها سجن كبير.. ومن وقتها ولحد يومنا ده عايش هنا ولو حد قابله بيقتله...

ثم أشاح ببصره في اتجاه الصحراء وأضاف قائلاً:

- علشان كذا لو سمعت صوت صفير بالليل لازم تتجاهله تماماً

وأوعى ترد عليه

ارتعشت يدي وأنا أمسك كوب الشاي وسألته:

- ليه؟

انعقد حاجباه وهو يقول:

- لأن دي الطريقة اللي بيسحب الناس بيها.. ولو رديت عليه ممكن يسيطر عليك، وبعد لما يموتك هيلبس جلدك، ويبقى شبهك، وحتى هيتكلم شبهك.. بس عمره ما هيكون إنت.. وخذ بالك، لو دخل بيتك مرة، هيقدر يدخله كل يوم مدى الحياة، وهيقدر يوصلك إنت كمان بسهولة

قلت في توتر:

- أكيد دي قصة خيالية؟!

ضاقت حدقة عينيه وقال:

- يمكن آه ويمكن لأ.. محدش عارف الحقيقة، ومحدش قابله وعاش عشان يقولنا حقيقية ولا لأ.. بس أنا متأكد إنه موجود

قلت في عصبية:

- متأكد إزاي؟

- أنا بقالي هنا أكثر من عشر سنين.. أوقات بلاقي آثار لناس اتقتلت في الصحراء هنا، بلاقي هدمهم المتقطعة، وعضهم متكسر

حاولت تهدئة ضجيج الخوف الذي بدأ يتسلل إلى قلبي وقلت:

- ما يمكن اللي قتل الناس دي ديب ولا حاجة من الحاجات
المفترة اللي بتسكن الصحاري عادي؟

هز رأسه نافياً وهو يقول:

- مستحيل.. مفيش حيوان يعمل كدا.. الميتين بيكون جلدهم
مسلوخ وكان حد سلخهم علشان جلدهم

قلت في انفعال:

- أكيد إنت قاصد تخوفني

قال في بطة:

- أو أحذرك

حاولت أن أبتسم:

- قصة رعب جميلة.. بس أنا مش مصدقها

رمقني بغموض وقال:

- براحتك

- على العموم شكراً على السهرة الحلوة دي يا جابر

قلت ذلك وأنا أنهض.. ركبت سيارتي ورحلت.. بعد نصف ساعة
وصلت للمنزل وهناك لاحظت أن باب المخزن الموجود وراء المنزل
مفتوح.. أنا واثق إنه كان مغلقاً قبل أن أغادر.. اقتربت بحذر لأفحص
الوضع.. أشك أن يكون لصاً.. لا مستحيل أن يكون «شيصبان».. هذه
قصة خيالية.. الأقرب أن الهواء الشديد هو من فعل ذلك!

تناولت سيخ حديدي من على الأرض تحسباً لأي موقف مفاجئ ثم دخلت المخزن وأنا أصيح بصوت حاولت أن أجعله قويًا:

- مين هنا؟

لا أحد.. لكن مهلاً.. هناك ما يبدو إنه سرداب موجود في آخر المخزن!

غريب..

غريب جداً!

الأغرب أن هناك آثار خطوات بجوار السرداب كما لو أن شيئاً خرج من هناك وزحف على الأرض ثم عاد مره أخرى!

لا بد من وجود تفسير..

اتجهت نحو السرداب.. نظرت في داخله.. لم أر أي شيء يستحق الانتباه.. الظلام يغمر السرداب من الأسفل.. بعد قليل بدأت أسمع صوت خافت ينبعث من هناك.. ثم راحت الأصوات تتحول إلى همهمات.. والهمهمات إلى حروف.. ناديت وأنا أحاول أن أخفي ارتعاشة صوتي:

- مين؟

ملت إلى الأمام لأسمع بوضوح.. لا رد.. عدت أنادي:

- مين؟

أجابني صوت مبحوح ومُرعب جداً:

- صلاح!

انتفضت في مكاني حين سمعت ذلك وكدت أن أفقد توازني وانزلق داخل السرداب لولا أن دفعت نفسي إلى الوراء.. تدحرجت على الأرض وأنا أشهق من الصدمة.. يوجد مخلوق رهيب يعيش هنا!

الخوف جعلني لا أفكر.. اندفعت أركض في قلب الصحراء بلا هدف.. كل ما كنت أريده هو أبتعد فقط.. كان الخوف يخترق كل خلية في جسمي قلبي ينبض بسرعة مجنونة، وتدرجياً بدأت أسمع صرخات تتردد داخل عقلي تناديني أن أعود مره أخرى، وكلما اتسعت الفجوة بيني وبين السرداب، زادت قسوة تلك الصرخات!

بعد فترة لا أعرفها من الوقت، لا تزيد عن خمس أو عشر دقائق على ما أعتقد، لكنها بدت لي كدهر، وصلت عند أقرب بيت وجدته في طريقي وبلا تفكير قررت الدخول لأختبئ هناك.. اقتربت من الباب ودفعتة.. كان ثقيلاً لكنه تحرك.. دخلت وأغلقت خلفي.. أغلقت أيضاً كل النوافذ المفتوحة.. أصبح المكان مظلماً لكن كنت أريد أن أشعر بالأمان.. استغرق مني الأمر لحظات حتى اعتادت عيني الظلام..

بعد مدة بدأت الرياح تزمجر من الخارج وكأنها تتشاجر مع نفسها.. الجدران تهتز على نحو عجيب.. ثم انفتحت ضلفة أحد النوافذ ومرقت ريح بارد فانتفضت في مكاني وأسرعت لأغلقها وأنا أرتجف..

شاهدت البرق يشق السماء كسيف لامع..

بصعوبة أغلقت النافذة ووضعت خلفها قطعة خشب لتقويتها ثم عدت إلى الداخل مرة أخرى.. لن أخرج من هنا حتى تنتهي العاصفة ويطلع النهار..

حاولت أن أسترخي لكن بعد قليل شعرت أن كل قطعة أثاث في الغرفة السابحة في الظلام تبدو وكأنها كيان حي ينبض!

تسلل الذعر إلى أوصالي.. متى سوف ينتهي كل هذا الرعب... أشعلت كشاف هاتفي فأضاء المكان بنور باهر.. تنفست الصعداء وأنا أتلفت حولي في قطع الأثاث.. كل قطعة جامدة ميتة.. كل الغرف أبوابها مفتوحة ما عدا غرفة واحدة!

المنطقي أن أظل حيث أنا لكن السؤال هنا لماذا هذا الباب بالذات مغلق؟

أحتاج إلى إجابة..

اتجهت إلى هناك بدافع الفضول وفتحت الباب..

تبيست في مكاني حين وجدت الغرفة مليئة بالتوابيت القديمة.. توابيت تم رصها بشكل غريب ومرعب.. كل التوابيت كانت مفتوحة لا يوجد شيء بداخلها ما عدا تابوت واحد مغلق بإحكام شديد..

فجأة بدأ هذا التابوت يهتز بعنف كأنه يستيقظ من شبات عميق، أو كأن الميت الذي بداخله قد استيقظ.. ثم طار غطاء التابوت ونهضت جثة رجل أوشكت على التحلل.. أصدر حشرجة عنيفة قبل أن تندفع سوائل خضراء مقززة من فمه ثم أمسك قدمي بإحدى

يديه العظمية، لكني تحررت منه وألقيت عليه أحد الأحجار.. قفزت
وخرجت بسرعه من هذا المنزل الملعون لأنقذ نفسي.. لا أعرف ماذا
يحدث حولي!

انتزعني صوت همس مكتوم يأتي من خلفي:

- صلاح

ألقيت نظرة خاطفة إلى الوراء.. شاهدت الميت وهو يلاحقني..
هيكل عظمي فوقه بعض بقايا اللحم والكفن..

انتفضت من الرعب وكدت أن أسقط على وجهي.. جريت حتى
شعرت بعيني تكاد تخرج من مقلتيهما.. جريت حتى سالت الدماء من
أنفي وتذوقت الدم في حلقي..

ثم انفجرت صرخة هائله في الهواء وحدث ما لم أتوقع.. اختفى
الميت فجأة كما لو أنه ذاب في الظلام..

توقفت في مكاني وأنا ألث من الإرهاق والفرع وأنفخ الهواء مثل
حصان تقطعت أنفاسه..

بعد مده غمرتني مشاعر الشك فيما حدث منذ قليل، هل كان ذلك
حقيقة مرئية أم مجرد وهم آخر يضاف إلى قائمة الأوهام التي أراها
في الفترة الأخيره؟ هل يكون جابر وضع لي مخدر أو حبوب هلوسه
في الشاي؟

ترددت الصرخة مرة أخرى وعاد الميت للظهور واندفع يجري
نحوي من جديد وهو يقفز في الهواء قفزات هائله.. هذه المرة راح
يتبدل إلى أشكال مختلفة.. كلما قفز قفزة وتحول من شكل لآخر

بسرعة مخيفة.. وكلما حاولت تمييز الملامح تلاشت صورته وتبدلت أمام عيني إلى ملامح أخرى.. رجل ثم امرأة ثم شاب ثم هيكل عظمي.. يمد يده باتجاهي في مشهد مروع ويرفض أن يتركني..

اندفعت أجري بأسرع ما يمكنني ومع كل خطوة كنت أتوقع الإحساس بيديه تمسك كتفي وتجذبني إليه في عناق قاتل، بينما صوت الصرخات لا يتوقف كأن هناك مئات الأشخاص يصرخون في وقت واحد.. وبينما أنا مستمر في الجري، ازداد الظلام من حولي وشعرت أن هناك قوة خارقة أخفت ضوء القمر والنجوم، وتحولت الصحراء إلى متاهة غامضة، كلما حاولت الهروب، كلما ضعت أكثر..

نظرت خلفي فلم أشاهد شيء يطاردني.. ألقيت نفسي على الرمال وأنا أصرخ من التعب والخوف.. بدأت أتماسك قليلاً وأحاول أن أفكر في حل للخروج مما أنا فيه..

فجأة لاحظت أن هناك ظلًا آخر بجانبني، طوله لا يتجاوز ربع طولي، وتدرجياً بدأ يتجسد أمام عيني ولكن ليس كظل لي بل كظل لشيء آخر يقف بعبات مخيف..

رأيت هذا الظل يرفع يده اليمنى ثم ظهرت بعد ذلك كيانات مظلمة تبدو كأرواح مفقودة تبحث عن ملاذ في عالم الظلال، وتردد في أذني كلام جابر:

- «شيصبان» محبوس هنا في الصحراء مبيخرجش منها وعمال يلف فيها ليل ونهار وكأنها سجن كبير.. ولو حد قابله بيقته وياكل لحمه، ويقرقش عضمه.

فوجئت بالظلال تقيدني وتسيطر على حركتي بقسوة.. عاد صوت جابر بتردد داخلي:

- جن ملعون كان خادم ملك من ملوك الجن السلفي

خرجت ديدان سوداء عملاقة من تحت الرمال وحفرت في ساقي وزحفت تحت الجلد.. صرخت:

- لااااا

ومع انطلاق صرختي تلاشت كل الظلال من حولي..

الديدان زحفت حتى وصلت إلى عنقي.. كيان أسود ينهش في اللحم.. حاولت أن أمسكها وأمنعها.. غاصت أكثر ووصلت إلى رأسي.. اشعر بها تتحرك داخل جمجمتي وتنهش فيها بلا رحمة..

ضربت رأسي في الأرض..

صرخت ألقا فلم أسمع صوتي..

الألم يتضاعف بجنون..

الديدان تلتهم رأسي من الداخل..

تناولت حجر وضربت به رأسي مرة.. ثم مرة ثانية.. وثالثة.. ورابعة.. سوف أخرجها من رأسي حتى لو تهشمت وتناثرت جمجمتي..

وأخيراً شعرت أن الديدان توقفت عن الحركة..

ربما تكون قد ماتت..

وربما لا..

تحسست رأسي التي تنزف..

صمت..

سكون..

ثم بدأ كل ما حولي يتحرك ويتلوى على نحو عجيب.. تحركت النجوم في السماء بسرعة رهيبه ثم اختفت.. أشرقت الشمس واختفت في لمح البصر.. دخل الليل وظهرت النجوم مجدداً.. وهكذا باستمرار.. الزمن يتحرك بطريقة عجيبه.. أسمع أصوات تهمس وتصرخ وتضحك.. فوضى من الأصوات والصور والألوان المتشابكة.. تتكرر الأحداث بنفس النسق والترتيب المرعب كما لو أن الزمن نفسه يريد تعذيبي..

وفجأة انفجر ضوء قوي في وجهي جعلني لا أرى شيء.. ولما فتحت عيني رأيت الليل ما زال ساكناً وظهرت النجوم ثابتة.. شعرت بعودة قدرتي على الحركة.. سرت ببطء مسافه قليلة وتدرجياً بدأت أجري وأجري..

وصلت إلى المنزل أخيراً، وحتى تلك اللحظة لا أعرف كيف وصلت.. دخلت وأغلقت الباب ورائي.. وبمجرد أن دخلت انتابني صداع شديد أطلق نبض الألم في مؤخرة رأسي وبدأ العرق الغزير يتصبب على وجهي.. عرق بارد جداً!

حاولت أن أتنفس لكن شعرت أنني أحترق تحت شمس لا ترحم ورأيت دخاناً يتصاعد من جسدي، وجلدي يتشقق بطريقة غريبة

وكأني أحترق.. قرأت قديماً عن حوادث الاحتراق الذاتي لأشخاص
احترقوا وتحولوا لرماد بدون سبب..

الأمل الوحيد للنجاة هو الماء!

أين الماء؟

ركضت إلى الحمام وفتحت الماء البارد فوق رأسي.. ماء منهمر
لا يتوقف ولن أجعله يتوقف.. كل نقطة تلمس رأسي كنت أشعر
بها وكأنها تحطم جمجمتي.. رغم ذلك اختفى الإحساس بالاحتراق
وراحت درجة حرارتي تتراجع، والدخان ينحسر من على جسدي..

بعد لحظات استقرت حالي وعادت حرارتي إلى طبيعتها..

أغلقت الماء وهددت إلى وجهي في مرآة الحمام. ما هذا؟ شعر
رأسي كله أبيض تماماً.. وقبل أن أستوعب تلك الصدمة الجديده
انتقلت إلى صدمة أخرى..

اختفت صورتني من المرآة، كأنني لم أكن موجوداً أبداً.. هناك فقط
ظل أسود مكاني..

مسحت بيدي على المرآة لكن كلما مسحت ازداد الظل ضخامه..

فجأة تموج هذا الظل واهتز ثم خرجت من المرآة يد.. يد مشوهه
مغمورة بالدماء.. وقبل أن أتحرك أمسكتني من عنقي وظهر على
سطح المرآة وجه مشوه قال لي بصوت خالي من المشاعر:

- أنا في انتظارك يا صلاح

حاولت بكل قوتي أن أتحرر، لكن اليد كانت قوية وتضغط بشدة

على رقبتى

- إنت مين؟

قلت ذلك فأحسست بالنيران تشتعل في كل أنحاء جسمي مجدداً..
عدت أقول بصوت متهدج:

- مين إنت؟

ظهرت حشرات مقززة من بين الشقوق والحيطان وزحفت بسرعه
فوق جسدي ووجهي حتى غطتني.. عاد الوجه يصرخ:

- بص وراك

التفت فشاهدت جثة والدتي ملقاة على الأرض، ومحاطة ببحر من
الدماء، وجثة والدي متدلّية على جبل المشنقة..

اللعنة.. أنا أعيش عبث شيطاني لعين..

أصوات الصراخ تملأ المكان.. لم أعد أستطيع المقاومة أو النضال
أكثر من ذلك.. دعوني أموت بهدوء أفضل.. صرخت:

- كفايه.. كفايه

قلت ذلك وسقطت على الأرض وارتطمت بقاع سرداب..

سرداب مظلم.

تنبتهت حواسي دفعة واحدة..

فتحت عيني وجدت نفسي على السرير وعلى مسافة قريبة يقف
الأستاذ فوزي متجههم الوجه عاقداً كلتا ذراعيه أمام صدره وينظر لي
في قلق شديد.. غمغمت وأنا أعتدل:

- إيه اللي حصل؟

جلس بجواري وقال:

- عرفت إنك هنا في الأرض وجيت أقابلك.. لقيتك مرمي قدام
البيت ومغمى عليك.. مش هكذب عليك افتكرتك في الأول ميت..
قلت الحمد لله استريحنا منه

قالها ثم ضحك فلم أبادله الضحك.. تنحنح قائلاً وقد شعر بالحر:

- دمي ثقيل أنا عارف.. المهم لما لقيتك في الحالة دي نقلتك على
هنا وعملت معاك اللازم لغاية لما بدأت تفوق..

تحسست رأسي:

- كان في جرح كبير في دماغي؟

فحص رأسي قبل أن يجيب:

- لا مفيش فيك حاجة

ثم رمقني في شك وأضاف:

- هو إنت كويس.. إنت شارب حاجة؟

قلت في انفعال:

- أنا مررت بتجربة معنديش تفسير لها.. معرفش هل هي حلم ولا حقيقة.. الموضوع أكبر مما تتخيل.. حاجة كدا لو حكيتها لك هتقول عليا مجنون

ابتسم وهو يقول:

- من ساعة لما رفضت عرض «منى» وأنا بقول عليك مجنون

أثار ذلك حيرتي ونظرت إليه باستغراب:

- منى! هو إنت عرفت باللي دار بيني وبينها

هتف قائلاً:

- بالصدفة.. على العموم أنا مشيتها خلاص

ثم وضع يده على كتفي وأضاف:

- أنا مش شخص سيء زي ما إنت بتتخيل يا صلاح.. الموضوع

كل شغل.. مصلحة مش أكثر.. يعني مفيش شيء شخصي في

الموضوع.. بس بسبب موقفك مع منى أنا مستعد أتنازل عن جزء من

نصيبي و...

قاطعته:

- جزء أد إيه يعني؟

ضحك:

- مش هنختلف صدقني.. لما تقرر البيع ابقى بلغني

ثم نظر لساعته ونهض:

- أنا اتاخرت على المكتب ولازم أمشي دلوقتي

دققت في وجهه وأنا أسأله:

- يعني إنت جاي كل المسافة دي عشان تقول الكلمتين دول.. كان

ممکن تقولهم في التليفون بالمناسبة وتريح نفسك؟!

أجاب في سرعة وبساطة:

- بيني وبينك قلت أعاين الأرض بنفسي.. يمكن فعلاً تساوي أكثر

والشركة دي بتشتغلنا

سألته باهتمام:

- وإيه رأيك؟

لوح بيده وهو يقول:

- مش هكذب عليك.. هي فعلاً ممكن تجيب مبلغ أكثر

- طيب بعيد عن موضوع البيع ممكن أدردش معاك في موضوع

تاني

- اتفضل

- إنت شفت السرداب اللي موجود في المخزن؟

هز رأسه نافيًا:

- لا

مضيت احكي له تفاصيل الليلة السابقة، وهو يستمع لي بتركيز
وحين انتهيت قال بعد تفكير بسيط:

- ممكن يكون جابر حط ليك حاجة في الشاي وانت مش واخذ
بالك

قلت والأفكار تتضارب في رأسي:

- وهيستفاد إيه؟

قال في عصبية:

- معرفش.. هو ده الاحتمال الأقرب.. كل الكلام اللي إنت حكيتة
مالوش أثر.. مفيش جرح في دماغك.. شعرك عادي.. مفيش أي شيء
غريب أو مرعب.. كل اللي حصل بنسبة كبيره حصل في دماغك إنت
بس

حاولت السيطرة على نفسي وأنا أصيح:

- مستحيل كل اللي مریت بيه يكون مجرد هلوسة.. أنا متأكد

هز رأسه ثم قال بنفس العصبية:

- اسمعني كويس يا صلاح.. أنا مش دارس علم نفس بس أقدر
أقولك إن العقل البشري قادر يبهرك لو قرر إنه يتجنن.

قلت بعد لحظة تفكير:

- طيب تعالى معايا

واستأذنت منه أن ياتي معي للمخزن لكي يشاهد بنفسه.. ظهر

عليه التردد للحظة ثم وافق.. سرنا سويًا وحين وصلنا عند السرداب قلت وأنا اشير إليه:

- السرداب ده وراه سر.. إيه لازمة وجوده..؟

حدج الأستاذ فوزي في السرداب وهتف في حيرة:

- بصراحه حاجة غريبه، بس متزعلش مني، والدك في أيامه الأخيرة تصرفاته مش طبيعية

هتفت قائلاً:

- مش للدرجة دي!

انعقد حاجباه وهو يسألني:

- طيب جربت تنزل جوه؟

- لا بصراحة.. أنا خايف يكون جواه حيوان مفترس

- بص أنا شايف إنك تردم السرداب ده

غمغمت قائلاً:

- يمكن له فايده؟

التفت لي وقال في نفاذ صبر:

- يبقى خلاص اعتبره مش موجود.. اقفل المكان ده

خرجنا من المخزن وأغلقت الباب ووضعت قفل ضخمة عليه وأنا أقول:

- كذا مفيش حد هيدخل أو يخرج منه

ركب فوزي سيارته الجائمه بجوار سيارتي ثم التفت لي وقال في حزم:

- نصيحتي ليك متقربش من السرداب تاني لغاية لما نشوف له حل.

- تمام

أدار محرك سيارته قبل أن يقول:

- وحاول تنام شوية.. عينيك تحتها سواد غريب أصلاً

- سلام

تابعته ببصري حتى اختفت سيارته وراء الأفق.. عدت إلى المنزل وحاولت الاتصال على رباب.. هاتفها مغلق!

لم أملك سوى أن أتهد في ضيق..

كل ما دار في ذهني في تلك اللحظة هو فكرة أن جابر هو السبب في كل ما حدث لي.. الموضوع بسيط.. قام بوضع شيء ما في الشاي.. أتذكر الآن إنه لم يشاركني الشرب واكتفى بالكلام.. تركني أشرب بمفردي وأضاف حكاية «شيصبان» لزرع فكرة الجن داخل عقلي.. تبقى فقط نقطة مهمة لا بد من تفسيرها.. لماذا يفعل ذلك؟ لماذا يحاول إخافتي وترهيبني؟ ربما يريد طردي من المكان.. نعم.. بلا شك هذا هو الدافع.. وبالتأكيد شركة الاستثمار العقاري هي من قامت بترتيب كل شيء.. تبًا لك يا جابر.. لقد كنت بدأت أستريح لك..

حسناً أحتاج إلى خطة جيدة.. أحاول أن أفكر.. أريد أن أخرج بأي تفسير.. الحيرة تعترضني.. لا أعرف.. لا أفهم..

وبينما أنا في هذه الحالة، تسلفت رائحة عطن إلى أنفي ذكرتني بتراب المقابر وشعرت بصداع شديد يعتصر جمجمتي وكأن شخصاً ما يضرب رأسي بقوة.. بدأت أسمع أصوات مرعبة تتجول في الهواء.. الأضواء ترتعش.. رحت أدور حول نفسي في فزع.. وفجأة الألم زاد على نحو بشع.. صرخت وسقط على الأرض أنا أمسك رأسي.. وجدت انبعاثاً ينمو تحت يدي.. الدود ينهش في جمجمتي.. وبكل قوتي ضربت جبهتي في الحائط.

انفجر الدم كالنافورة من رأسي بسبب الضربة وتلونت الرؤيا أمامي باللون الأحمر القاني وحاولت أن أتماسك لكنني ترنحت.. فجأة سمعت صوتاً يتردد في عقلي، ويطلب مني الذهاب إلى السرداب في الحال..

ركضت إلى هناك بسرعة وأنا أكاد لا أرى أمامي وكلما اقتربت منه انحسر الألم قليلاً.. أريد أن ينتهي هذا الألم مهما كان الثمن.. أضحيت كالمجنون وأنا أجري..

دفعت باب المخزن في عنف كبير لدرجة إنه كاد أن يتهشم.. أخيراً وصلت وأنا في حالة من الانهيار التام، وفي نفس اللحظة وحين جموت أمام السرداب اختفى الألم تمامًا وكأنه لم يكن!

التقطت أنفاسي بصعوبة وبدأت في تجميع شتات نفسي..

بعد قليل بدأت أسمع صوت حركة من داخل السرداب دليل على أن
هناك شيء يخرج منه..

اقتربت ونظرت..

ظلام دامس يبدو في الأسفل..

صوت زحف مخيف يتخلل الصمت ويقترب..

تمكنت أخيراً من تمييز ما يبدو أنه وجه.. وجه ذو أعين مشقوقة!

اندفعت نحو باب الخروج لكن قبل أن أصل إليه ضربني شيء في
منتصف ظهري فسقطت على وجهي.. كنت خائف أن ألتفت وأنظر..
أنا واثق أن هناك من خرج من السرداب.. لم أكن أستطيع رؤيته من
مكاني.. سمعت صوت أنفاسه يأتي من ورائي واضح جداً.. قلت وأنا
أنهض بصعوبة:

- أنت إيه؟

جاوبني فحيح مرعب..

وفجأة يد قوية قبضت على شعر رأسي وجذبتني إلى الورااء بلا
رحمة!

حاولت أن أتخلص من هذا الشيء.. ضربت بيدي وطوحتها في
الهواء لكن يدي غاصت في شيء مقزز لزج وطري.. صرخت:

- عاوز مني إيه؟

تركني هذا الشيء فسقطت على الأرض وتناهى إلى مسامعي
صوت خبيث ينطق باسمي:

- صلاح .. صلاح

التفت فشاهدت مخلوق على هيئة البشر يجلس فوق مدخل
السرداب.. مخلوق بدون رأس له عنق طويل جدا.. في نهاية العنق
مكان الرأس أسنان حادة.. الأسنان تنقبض وتنبسط دون توقف..
العنق يتلوى كأنه يتنفس!

صرخت في ارتياح وزحفت على ظهري إلى الوراى وأنا أحاول
الهروب من هذا الشيء البشع لكن المخلوق استطال وتمدد نصف
جسده العلوي حتى وصل إلي وحرك كلتا يديه.. له كفان مربعان.. كل
كف به ثلاثة أصابع معروقة تنتهي بأظافر سوداء.. لطمني في وجهي
لظمة جعلتني أطيير في الهواء.. كل شيء راح من حولي يدور ببطء
شديد.. أكاد أوشك على الارتطام بالحائط.. سوف تكون الصدمة
قوية.. لا مفر من الاصطدام.. وضعت يدي أمام وجهي لأحميه..

فجأة تبدل المشهد ووجدت نفسي أسقط في صالة منزلي
مباشرة..

نهضت وأنا أتلفت حولي..

أشعر بارتباك..

ربما أنا في غيبوبة.. وربما لا..

سمعت صوت آهه تأتي من الحمام.. توجهت إلى هناك وكلما
اقتربت ارتفعت صوت الآهات.. ثم ضوء أحمر يخرج من زوايا

الباب..

ترددت لبرهة من الوقت..

دفعت الباب ودخلت..

شاهدت «رباب» عارية تمامًا تتقلب وتتمرغ بين أجساد مجموعة من الرجال الزنوج.. زنوج عراه يضاجعونها على نحو بشع وهي تتأوه في نشوه وشبق..

صرخت..

تبدل المشهد لأجد نفسي تحت أقدام المخلوق!

أعتقد إنه يسيطر على أفكاري.. هذا ما انتهى إليه تفكيري بشكل مطلق وهذا ما يبرر حالة الصفاء الذهني الرهيب التي أشعر بها الآن.. سمعت صوته يرن في عقلي.. صوته يشبه «الوش» أو شوشرة الراديو حين تحرك المؤشر.. وتدرجيًا تحولت الشوشرة إلى كلمات وعبارات واضحة فهمتها جيدًا.. ما يطلبه مني صعبًا.. قلت وأنا أرتجف:

- لا.. مستحيل

وقتها شعرت بالدود ينهش في جمجمتي وبألم رهيب.. ألم الموت أهون منه.. عاد صوت المخلوق يرن في عقلي.. صرخت:

- حاضر.. هعمل كل اللي هتقول عليه

وضع المخلوق كفه على رأسي فاختمى الألم في الحال.. حسنا.. سوف أقوم بتنفيذ ما يريده مني وليكن بعد ذلك ما يكون.. ضحك

المخلوق ضحكة رنت في المكان مثل الأجراس النحاسية ثم عاد واختفي داخل السرداب.

اليوم التالي...

الساعات تمر وراءها الساعات..

مر النهار وأنا في المنزل بعد أن أغلقت الباب بكل الأقفال المُمكنة..
كنت بمفردي مع أفكاري وكل المشاهد التي حدثت لي بالأمس،
تخيل إنك محبوس في منزلك وهناك مخلوق رهيب يحاصرك
ويتحكم فيك وأنت وحدك تمامًا!

ثمة شيء ما يحثني على تنفيذ رغبات المخلوق ويخبرني أن الأمر
سوف يتم سواء بإرادتي أو رغماً عني!

أعرف أن ما أنا مقدم عليه هو تذكرة سفر بلا عودة، والرغبة في
الفاك أصبحت ماضيًا، ولكن هل من بديل أمامي؟ فقط هو الموت
والعذاب!

كان الدود ينهش في رأسي بمجرد التفكير في الرفض.. هيهات أن
تكون نهايتي هكذا، سوف أبيع روحي وجسدي للشيطان نفسه حتى
أعيش وأستمر في الحياة، لدي مسؤوليات، زوجة وطفلة لن يرحمهم
أحد لو اختفيت!

نهضت من مكاني ونظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى العاشرة
مساءً.. سوف أنفذ ما يريده المخلوق.. تحركت إلى الخارج.. شعرت

بتنميل غريب يجتاح جسدي وارتعاشة تتعارك مع ضربات قلبي
وأنا أسير.. شاهدت القمر يدور حول محوره، هل أصابتني الهلاوس
مجدداً ولعبت بعقلي أم إن القمر فعلاً يدور؟

أغمضت عيني وفتحتها عدة مرات.. القمر عاد ثابت في السماء..
توقفت بالسيارة أمام جابر.. رأيت قابع في مكانه مثلما تركته آخر
مرة.. بدا لي إنه يعيش على تلك البقعة من الأرض ولا يتحرك منها..
ابتسم لي حين رأني وأشار لي بالنزول قائلاً:

- اتفضل.. مالك شكك تعبان ومرعوب!

حاولت أن أبدو طبيعياً:

- أبدأ.. مرهق بس شوية

حدق في وجهي باهتمام ثم قال:

- خير.. عاوزني في حاجة

ارتبكت للحظة قبل أن أقول بصوت مبحوح:

- إياك.. كنت عاوزك تيجي معايا تشوف حاجة في الأرض

انعقد حاجباه وهو يقول:

- إحنا ليل والصبح رياح

هتفت قائلاً:

- أنا في النهار مش بكون فاضي.. وكدا كدا إنت قاعد دلوقتي

والموضوع مش هياخد أكثر من نص ساعة.

تجادلنا قليلاً ثم وافق بعد أن عرضت عليه مبلغ من المال.. قال وهو ينهض بعد أن وضع النقود في محفظته :

- علشان خاطرِك إنت بس أنا جاي

تنهدت قائلاً:

- أكيد.. أكيد

سرنا سوياً وطوال الطريق لم أتحدث.. لاحظ جابر ذلك فسألني في فضول:

- مالك.. ساكت ليه..؟

- مفيش.. موضوع كدا شاغلني من فترة

أدار رأسه ناحيتي:

- طيب ما تتكلم معايا يمكن أفيدك

ضحكت رغماً عني:

- هتفدني متقلقش

انتبهت في تلك اللحظة إلى اهتزاز هاتفي المحمول.. أخرجت الموبايل لأجد أن رباب هاتفتني ثلاث مرات متتاليه دون أن أنتبه.. أجريت الاتصال وبعد عدة محاولات ردت رباب وهى شبه نائمه:

- أيوه يا رباب.. إنت اتصلتي بيا ٣ مرات

- مش أنا يا حبيبي.. دي نورا بنتك كانت عاوزه تكلمك ولما مردتش

دخلت نامت.. المهم إنت عامل إيه؟

- أنا تمام

- هترجع إمتى؟

- لسه قدامي شغل في الأرض مش عارف هخلصه إمتى

- تحب أجيب البنت ونيجي نقعد معاك؟

قلت بسرعة:

- لا.. لا مفيش داعي تتعبوا نفسكم.. يومين تلاته بالكثير وأرجع

- طيب يا حبيبي متتاخرش علينا اكر من كدا.. ربنا يعينك

أغلقت الخط وعدت وقلت في سخرية مريرة:

- الحب

ضحك قائلاً:

- يخرّب بيت الحب يا شيخ

التفت إليه وسألته:

- قوللي هو إنت متجوز يا جابر؟

عقد حاجبيه وهو يقول:

- اتجوزت ٣ مرات.. أول واحد قعدت معايا ٣ سنين وبعدين

ماتت.. ثاني واحد قعدت معايا سنتين وماتت.. تالته واحد...

- قعدت معاك سنة وماتت؟!

ضحك وقال:

- لا.. طلقته بعد شهر.. فلتت بعمرها بنت الهرمه.. على العموم
الجوازة الرابعة قريب جداً

بادلته الضحك:

- هو إنت لسه فيك حيل راجل يا عجوز

- الدهن في العتاقى.. هعزمك ولازم تيجي.. أنا ناوي أدبح عجل
في الفرخ وهتهيص

وصلنا المزرعه ونزلت من السيارة.. كان جابر يتحدث معي دون أن
أستمع له.. كنت مشغول في أمر آخر.. ما زلت أشعر بالتردد.. فتحت
باب المخزن وناديت عليه:

- تعال هنا لو سمحت يا جابر.. فيه شيء مهم عاوزك تشوفه

توقف جابر عند عتبة باب المخزن وقال دون أن يدخل:

- خير..؟

أشرت إلى السرداب:

- شايف السرداب اللي هناك ده

ألقى بعينه الصغيرتين الداكنتين نظرة سريعة إلى المكان وغمغم
في دهشة:

- غريب؟!!

ثم تقدم خطوة إلى الأمام.. انتهزت الفرصة ودفعته في ظهره
داخل المخزن وأغلقت الباب بسرعه.. صرخ وهو يحاول أن يفتح

الباب:

- افتح يا صلاح.. افتح

قلت في مرارة:

- سامحني يا جابر

صرخ مجدداً:

- أسامحك ليه؟

كنت قادر على رؤية ما يحدث من خلال فتحة صغيرة في الباب.. رأيت المخلوق يظهر بدون صوت عند مدخل السرداب، ثم مد نصف جسده العلوي واستطال بطريقته المطاطية وراح يقترب من جابر الذي لم يكن يشعر به إطلاقاً.. أصبحت تفصل بينهم مسافة لا تزيد عن طول ذراع إنسان.. كان لدي فضول في أن أشاهد.. كنت واثقاً بأن هناك شيئاً غاية في الشناعة على وشك الحدوث، شيء آثم وقاس..

التفت جابر إلى الورااء وحين رأى المخلوق امتقع وجهه وبال على نفسه دون أن يشعر، تراجع بظهره حتى التصق بالحائط، وهو يردد في نعر هائل:

- إنت ال...

وقبل أن يكمل جملته انقض عليه المخلوق وغرز أسنانه فيه!

أغمضت عيني من الخوف.. اكتشفت إنني غير قادر على رؤية ما يحدث.. كانت الرهبة تملأ أحشائي وتسارعت أنفاسي من ضغط

الانفعال لدرجة أنني كتمت فمي حتى لا أصرخ أو أبكي!

سمعت صوت جابر وهو يصرخ في ارتياح.. صوت صراخه كان ممتزجاً بصوت تكسير عظامه وتقطيع لحمه..

لا أعرف كم مر من الوقت لكن بعد فترة ران صمت رهيب.. وهنا اعتدلت وتحركت في حذر.. فتحت باب المخزن ودخلت.. رأيت المخلوق يسحب جمعة جابر وينزل بها إلى داخل السرداب.. لحظة ثم طارت رأس جابر في الهواء واصطدمت بالحائط.. تركت فوق الحائط بقعة دموية مخيفة.. تدحرجت الرأس وتوقفت عند قدمي.. تصلبت تمامًا في مكاني والتقت عيني مع عين جابر.. وعندها صدرت صرخة من الرأس المقطوع.

قضيت بضعة أيام مسجون تحت سيطرة المخلوق..

كلما حاولت النوم كان الخوف يجعل عيني مفتوحتين، أترقب كل ظل يمر على جدار المنزل، كل همسة تتسلل من الظلام، وأتساءل يوميًا هل سأبقى مسجونًا هنا إلى الأبد؟ أم أن المخلوق سوف يحررني يومًا ما!

أصبح تفكيري مضطرب ومشوش إلى حد كبير.. أعتقد أن عقلي خرج عن السيطرة.. بدأت أشعر أنني على وشك الجنون.. أسمع أحيانًا أصوات همس تتسلل من الجدران القديمة، تتراقص في أذني مثل أشباح مجهولة.. كنت أترقب كل صوت خارجي، كل تحرك في الليل، وكأنني أعيش في عالم موازٍ مظلم!

أحيانًا أتخيل أن هناك أشباحًا بشعة تتجول خلال غرف المنزل المظلمة.. وأحيانًا أشاهد فتاة بيضاء لم أر في حياتي أجمل منها.. كنت أعلم إنها مجرد أفكار مريضة تتدفق داخل عقلي.. أوقات كنت أفقد أعصابي وتنتابني نوبة من الغضب لكن الديدان التي تنهش رأسي تعود لتصيبني بالألم الرهيب ولا تتوقف حتى أفقد الوعي!

حاولت شغل عقلي بالتفكير في أمورٍ أخرى.. لكن المخلوق ظل يقتحم خلايا مخي من الباب الخلفي.. قمت بالبحث عن أصله باستخدام الانترنت.. قرأت أن قبل خلق الإنسان كانت توجد مخلوقات تسمى «الحن والبن» تعيش على الأرض، كانوا أقوياء جدًا بسبب صفاتهم المميزة، وأشكالهم المتباينة فمنهم من امتلك القرون

الطويلة ومنهم العملاق ومنهم من امتلك أجنحة.. مخلوقون من النار وبالتالي تحمل أجسادها قدرة هائلة للغاية.. وهناك فارق شاسع بين أصل الخلق والصورة النهائية للمخلوق.. الإنسان أصل الخلق فيه الطين ولكن صورته النهائية لجسد يتكون من هيكل عظمي وأجهزة تنفسية وعصبية وهضمية وأعضاء وخلايا وشرابين ودماء.. وكذلك «الحن والبن» أصل خلقهم من نار لكن صورتهم النهائية أيضًا في أجساد مخيفة الشكل لكنها أيضا مكونة من لحم ودم أشبه بالإنسان في التركيب الداخلي لكن الفارق أن هذا الأصل الناري للخلق منحهم طاقة عالية للغاية.. هذه الطاقة هي التي تمكنهم من السرعة الرهيبة في الحركة واختراق الحواجز والجدران وباستخدام طاقتهم أيضًا يستطيعون التمثل في أي صورة بشرية!

في التاريخ الفارسي وجدت آلاف الأساطير عن «الحن والبن».. في الديانة الهندوسية ١٥٠٠ عام قبل الميلاد تم ذكرهم في كتاب «الفيدا» و«شياطين «أسورا».. وفي الحضارة الصينية «ياو جواي» تم رسمهم على المعابد.. وما من حضارة على مر التاريخ إلا عرفت أفعال وقدرات «الحن والبن» ووثقت ذلك في كتبهم المقدسة!

تم ذكرهم في كتاب الحافظ بن كثير وقد قال «خلفت الجن قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم في الأرض الحن والبن»، وانقسموا إلى سبعة عشائر على كل عشيرة ملك قوي جداً، سبعة ملوك يحكمون العشائر، ثم حدثت حرب كبرى بينهم وبين الجن، حرب كانت هي الأشرس على الإطلاق، لا حرب للبشر تضاهي ما حدث فيها لدرجة أن الملائكة أنفسهم صعقوا لما رأوه من فساد وإراقة الدماء بشكل لم تشهد الأرض من قبل.. وفي النهاية انتصرت الجن، وبعد ذلك

تم نفي ما تبقى من « الحن والبن » في عالم «البرزخ».. هذا العالم
الرهيب الذي يضم كثير من المخلوقات الملعونة والمحرومة من
رحمة الرب!

وهكذا قررت..

قررت اليوم أن أنزل إلى السرداب.. اليوم سوف أذهب إلى
الجحيم.

أحضرت مصباحًا يدويًا واتجهت إلى هناك مباشرة.. انزلت على
سلم صغير وسقطت داخل السرداب.. استقبلني هواء بارد محمل
برائحة العفن والتراب.. تقدمت بحذر.. كل خطوة كنت أخطوها كانت
تصدر صوتًا مدويًا في الصمت المطبق!

السرداب من الأسفل عبارة عن مقبرة.. مقبرة قديمة جدرانها
الحجرية عليها بقع رطوبة داكنة وطلاسم وتعاويد قديمة.. الطلاسم
على كل الجدران بلا استثناء!

على الأرض بعض جمث الحيوانات ولكنها جمث مبتورة ممزقة
بوحشية.. أيضا ثمة عظام بشرية تحتشد في أحد الأركان!

كنت متأهبًا وخائفًا.. أنا الآن في وكر المخلوق.. بحثت جيدًا عنه
في كل أركان السرداب لكن لا أثر له.. رغم ذلك أنا متأكد إنه يراقبني
الآن.. بلا شك يمتلك القدرة على الاختفاء.. لو كان يريد قتلي لفعل..
إنه يحتاجني بلا شك.. يريدني أن أدخل وكره لسبب ما، وسوف
أكتشف هذا السبب..

فجأة سمعت صوتًا خافتًا يشبه صوت قطرات ماء تتساقط من السقف.. الصوت قادم من ممر يبدو مخيفًا.. تقدمت داخل الممر المعتم.. لاحظت أن الممر يضيق أكثر وأكثر حتى فوجئت بنفسى أزحف داخل نفق يشبه الأنبوب.. شعرت برهاب الأماكن الضيقة والمغلقه يقبض على روحي..

في نهاية النفق لمحت بقايا جمعة «جابر» ممددة على الأرض.. الجمعة متيبسة وجافه تمامًا مثل المومياء.. هذا إذا ما يفعله المخلوق هنا.. يأكل الموتى وينام ثم يصحو ليأكل من جديد!

وهنا خطرت لي خاطرة، ماذا لو كان يوجد أكثر من مخلوق؟

لا.. لا يوجد مخلوق آخر.. إنه منبوذ يشعر بالوحده والجوع..

قربت مصباحي اليدوي من جمعة «جابر».. لمحت بداخلها مادة حمراء.. مادة حمراء لزجة كالزيت تشع في الظلام ولها رائحة غريبة وجذابة.. أحضرت زجاجة ووضعت هذه المادة داخلها ثم استدرت وبدأت أعود أدراجي..

فجأة شعرت بشيء يخدش ساقي كأمواس حادة.. التفت فشاهدت جمعة جابر تتحرك ببطء وتحاول الإمساك بي.. ركلتها بكل قوتي فتهشمت!

بعد خروجي من السرداب جلست أستعيد ما حدث، وصار لدي فضول لمعرفة طبيعة المادة الحمراء التي عمرت عليها.. أخرجت الزجاجة ونظرت فيها.. الغريب أن تلك المادة تنبض نبضات متقطعه

كالقلب الحي!

لا أعرف كم مر من وقت وأنا أنظر إليها..

فجأة تنبعت حواسي دفعة واحدة حين سمعت طرق خفيف جداً
على الباب لدرجة تخيلت أنني واهم فيما سمعت!

بعد برهه عاد الطرق وهذه المره أصبح أكثر وضوحاً.. نهضت في
حذر واقتربت من الباب ببطء، ووقفت وراءه لحظة، قلت في صوت
لا يخلو من الفزع:

- مين.

أجابني صوت أجش مألوف:

- افتح يا صلاح.. أنا الأستاذ فوزي

فتحت له الباب وقلت:

- ادخل

دلف الأستاذ فوزي وجلس على أقرب مقعد وقال لي:

- جيت أطمئن عليك.. مراتك اتصلت عليا وقالت إنها قلقانه
خصوصاً إن مفيش شبكه عندك وهي حاولت تتصل عليك كتير.

توارت الأفكار والردود في رأسي بسرعه البرق..

مجرد إن فكرت في إخبار الأستاذ فوزي بحقيقة ما يحدث معي،
ومضت صورة المخلوق أمام عيني، وشعرت بحركة الدود في
رأسي..

وجدت نفسي أقول كلام غير مترابط..

نظر لي الأستاذ فوزي في شك وعقد ساعديه أمام صدره وقال:

- واضح إن في حاجة فعلاً و...

- لا.. لا.. مفيش حاجة.. أنا زي الفل.

مط شفتيه وهو يقول:

- كل حاجة فيك بتقول كدا

قلت:

- خرينا في المهم

ثم أخرجت له الزجاجاة التي تحوي المادة الحمراء، وفتحت فوهتها لتبث رائحتها الغريبة، وسألته:

- تعرف إيه اللي في الإزاة دي؟

مد الأستاذ فوزي يده يتحسس الزجاجاة، وراح يفحص المادة باهتمام ودقه، هزها قليلاً فأصدرت صوت حفيف وهو يغمغم:

- غريب جداً

استمر يفحص السائل، قبل أن يهب من مقعده بحركة فجائية، ثم قال في انفعال:

- ده تقريباً زئبق أحمر.. إنت جبته منين؟

- هو يساوي كثير يعني؟

أجاب في سرعة:

- كثير أوي أوي .. ده ممكن يخليك مليونير.

مجرد أن قال ذلك ارتسمت أمام عيني سيارة عملاقة ومنزل فخم وحفلات صاخبة!

عاد الأستاذ فوزي يقول لي إن الزئبق الأحمر بمثابة إكسير الشباب للجن فهو يضاعف قوتهم ويعيد شبابهم، ولهذا يقدمه الدجالين والسحرة إلى الجن بهدف تسخيرهم لاستخراج الكنوز من الأرض ومعرفة مكان الآثار، لكن لابد من الحذر الشديد في التعامل معه. سألته:

- وعرفت كل ده إزي؟

- كنت قرأت مقالة عنه

وحكى لي عن تاجر آثار اشترى جرام من الزئبق الأحمر، وبالصدفة عمرت عليه زوجته وسقطت قطرات منه على الأرض.. بعد عدة لحظات ظهر مكان كل نقطة حمراء مخلوق شديد الضخامة شديد سواد اللون كثيف الشعر يشبه الشيطان، كانوا جميعًا ينظرون إلى الزوجة نظرات مرعبة.. ثم نفخ أحدهم بصوت مسموع نفخة واحدة في الحجرة فتحولت إلى كتلة من النار.. أتت النيران على المنزل بأكمله.. ليلة كاملة حاول جنود المطافيء فيها السيطرة على النيران دون فائدة.. كانت النيران كأنها تحاورهم.. كلما أخمدها عادت واشتعلت من جديد حتى تحول المنزل إلى رماد.. الغريب هنا أن التاجر احترق هو أيضًا رغم أنه لم يكن موجود في المنزل في ذلك

الوقت، كان يجلس في أحد المقاهي وحده عندما اشتعلت النيران فيه فجأة بدون سبب، وحاول رواد المقهى إخماد النيران وإنقاذه، لكنها لم تكن نيرانًا عادية ولم يؤثر فيها شيء واستمرت مشتعلة حتى تفحم التاجر تمامًا.

قلت:

- يعني التعامل معاه لازم يكون بحذر

- أكيد.. بس قولي لقيته فين؟ أوعى تقول إنك لقيت مقبرة أثرية

قلت في شيء من العصبية:

- لا مقبرة ولا نيلة.. أنا لقيته صدفة.. المهم إنت تعرف تتصرف

فيه؟

داعب ذقنه وهو يقول:

- هحاول أصدقك.. وبالنسبة لموضوع البيع أكيد أعرف لكن ليا

نسبة طبقًا

- مفيش مشكله.. المهم الفلوس هتكون عندي إمتي..؟

أطلق ضحكة قصيره وهو يقول:

- يا عم اتقل.. الحاجات اللي زي دي مش سهل إنها تتباع.. ناس

معينة هما اللي بيشتروها لكن متقلقش أنا هعرف أتصرف.. المهم إنه

يطلع فعلاً زئبق أحمر

التفت إليه متسائلًا في دهشه:

- يعني ممكن يطلع شيء ثاني؟

أوما برأسه:

- ممكن طبعا

حين قال ذلك تلاشت من أمام عيني السيارة العملاقة والمنزل
الفخم والحفلات الصاخبة وتصيب العرق على وجهي.

مسحت العرق من على وجهي وأنا أستيقظ مذعوراً..

استيقظت ليلاً على تشويش غريب الشكل يحدث في خلايا الدماغ... ثم بدأ المخلوق يظهر أمامي كطيف في أحد زوايا الغرفة.. وسمعت صوته يرن في خلايا مخي ويأمرني أن أتحرك حالاً وأذهب إلى بداية الطريق السريع الذي يصل إلى هنا.. لم أكن أملك رفاهية الرفض أو المناقشة.. كان هناك خياران فقط.. إما القبول أو الموت..

وهكذا ارتديت ملابسني وتناولت مصباحاً يدويًا وخرجت... السماء مظلمة كالعاده في مثل هذا التوقيت والهواء بارد.. سرت لمدة نصف ساعة تقريبًا وأنا لا أعرف إلي أين أنا ذاهب.. كنت اتبع ارشادات المخلوق التي يرسلها إلى عقلي كل فترة..

وأخيراً وصلت إلى المكان الذي أخبرني عنه..

لمحت هناك دراجة بخارية تقف على جانب الطريق.. اقتربت منها فشاهدت بجوارها رجلًا يبدو مرتبكًا، ووجهه شاحب من التوتر والخوف.. وبمجرد أن لمحني تبدلت أسارير وجهه وظهر عليه بعض الارتياح.. قلت:

- خير.. إيه اللي حصل..؟

أجاب في سرعة:

- البنزين شطب مني..

عاد صوت المخلوق يرن في عقلي ويأمرني أن أحضره إلى

السرداب.. قلت للرجل بصوت لين لطيف:

- طيب أنا عندي كام لتر بنزين.. لو محتاجهم تعال معايا

- المكان بعيد؟

قلت في سرعة:

- لا.. ربع ساعه بالكثير

قام بجر الدراجة وسرنا سويا بينما الرياح تصفر من حولنا في
فحيح كريحه كأنها همس جن أو أحاديث وحوش..

خلال الطريق تحدثت معه.. اسمه «حسن الطيار».. يعمل في
مشروع قريب من هنا وكان في طريق عودته.. قال لي:

- إنت ربنا بعثك ليا.. إنت مش متخيل حجم الخوف اللي كنت
حاسس بيه.. طول الوقت كنت متخيل بحد واقف بعيد عمال
يراقبني

- تلاقي خيال أو هم.. متحطش في بالك

هز رأسه:

- آه أنا برضه حاولت أقنع نفسي بكدا

صمت للحظة قبل أن يباغتني:

- هو إنت تعرف «جابر الصعيدي»؟

ارتبكت للحظة لكن قلت:

- طبعا.. خير بتسأل عنه ليه؟

هتف قائلاً:

- أصل بقاله كام يوم مختفي والبنزينة بتاعته مقفوله.. ده راجل طيب.. أيام كتيره كنت بسهر معاه.

استرجعت معه قصة معرفتي بجابر ثم قلت:

- عاوز أقولك إن فضلت يوم كامل مش عارف أنا من «شيصبان» هز رأسه وقال ضاحكًا:

- دي قصة رهيبه.. أوعى تكون صدقتها

- الوحده والمكان هنا يخليك تصدق أي حاجة

غمغم قائلاً:

- صحيح.. بس أول مره جابر يختفي كدا!

- آخر مره اتكلمت معاه قال إنه هينزل زيارة لأهله في الصعيد

- احتمال

ثم التفت نحوي وسألني في فضول:

- بس أنا أول مره أشوفك هنا في المنطقة؟

شرحت له موضوع الأرض ومخططي للبيع بتلخيص شديد.. غمغم

قائلاً:

- الأرض هنا ليها مستقبل كويس.. نصيحة بلاش تبيع دلوقتي

فوجئت بنفسي أساله:

- هو إنت متجوز يا حسن..؟

هز رأسه:

- أيوه وعندي بنت صغيرة اسمها «نورا»

- ده نفس اسم بنتي

ارتفع حاجباه في دهشه:

- صدفة غريبة

القدر يعبث بنا حقًا.. قلت مفكرًا:

- صحيح.. صدفة غريبة!

تخيليت ابنته تحمل نفس ملامح ابنتي.. الآن ستصير فتاة يتيمة.. بدأت أشعر بالتردد.. أريد أن أقول له أن يهرب فوراً.. لكن بمجرد أن طرأت تلك الفكرة في عقلي شعرت بالديدان تنهش رأسي وتزحف تحت الجلد واللحم.. ارتجفت بشدة فنظر لي حسن وهتف:

- في حاجة يا صلاح؟

لوحث بيدي في عصبية:

- لا.. أبداً.. مفيش

ردد في توتر:

- أصل فوجئت بيك فجأة بتبرق بعينك

ثم أضاف في ارتياب:

- طيب هو لسه كثير على ما نوصل؟

شعرت أنه يريد التراجع.. قلت محاولاً السيطرة على ثباتي
وهدوئي:

- لا خلاص كلها دقائق بسيطة

قلت ذلك وأنا أعلم أنني أقوده إلى الموت المحتوم.. «حسن
الطيار» سوف يطير!

بعد عشر دقائق كنا قد وصلنا..

دفعت باب المخزن بيدي فأحدثت مفصلاته الصدئه ضجيجاً بعث
القشعريرة في نفسي.. دلفت إلى الداخل وطلبت منه أن يتبعني:

- تعال يا حسن.. البنزين هنا

دخل وهو متردد قليلاً.. ظل يبحث ببصره يميناً ويساراً.. قال:

- فين؟

ثم رفع رأسه عاليًا وشم رائحة الهواء بأنفه وأضاف:

- إيه الريحه دي؟

وتوقف نظره عند السرداب.. التفت نحوي وقال في دهشة:

- إنت جايني هنا ليه؟

قرأت رغبته في الهرب.. وقبل أن يحاول الخروج اندفعت وأغلقت

الباب عليه وسمعته يهتف:

- افتح.. افتح..

وضعت القفل على الباب للتأكد من أنه لن يستطيع الخروج..

رحت أتابع ما سيحدث من خلال ثقب في الجدار.. رأيت حسن يدور حول نفسه ويبحث عن أي مخرج.. يبدو خائفاً وملتاعاً..

المخلوق ظهر أمام السرادب في مشهد رهيب، وأسنانه تصطك ببعضها في صوت حاد قبل أن يحرك عنقه بطريقة عجيبة لإظهار قوته..

صرخ حسن في ارتياح بمجرد أن رآه، وحاول الهرب لكن رقبه المخلوق كانت أسرع منه، استطالت كالمطاط وانقضت عليه، ابتلعت رأسه وراحت تمتصه ببطء كأنها ثعبان أناكوندا هائل..

في البداية حاول حسن أن يقاوم بشراسة، راح يرفس بقدمية ويضرب بيديه المخلوق، تدريجياً بدأت مقاومته تتضاءل حتى استكان ومات في النهاية.. استمر الوضع هكذا بضع دقائق وأنا أراقب وأشاهد الدماء وهي تخرج من جسد «حسن» وتسيل داخل عروق المخلوق.. دماء حمراء لزجة.. وأخيراً انفصلت عنق المخلوق عن حسن بعد ان امتص منه كل دمائه وتركه جثة شاحبة بلا روح..

لم يعد هناك أثر للمعركة الرهيبة التي دارت منذ لحظات سوى الدماء المتناثره..

تحرك عنق المخلوق وخرجت منه زمجرة وأصوات متنوعة.. لا أعرف ماهية تلك الأصوات.. هل هي مجرد تعبير منه عن الانتصار أم مجرد أصوات عشوائية لإضافة الرعب والرهبة في وجوده؟!

تحرك عنق المخلوق باتجاهي وشعرت أنه يقول لي أرجو أن تكون
قد استمتعت بالعرض، ثم اتجه إلى جثة حسن وحملها بين أسنانه
وعاد بها إلى داخل السرداب..

انتظرت قليلاً..

أزلت القفل من على الباب ودخلت..

أعلم أنه لا يريد قتلي..

أنا مجرد خادم له..

اتجهت نحو مدخل السرداب وتوقفت.. كانت هناك بروده وظلمه
رهيبه تشع من هناك.. ووسط الظلام ظهرت بقعة ضوء حمراء..
«الزئبق الأحمر».. اتجهت إلى هناك وقمت بوضع ما عثرت عليه
داخل زجاجة صغيرة كنت محتفظ بها.. لو كان كلام الأستاذ فوزي
صحيح فسوف أصير مليونير..

وفجأة ظهر من وسط الظلام أطياف ووجوه.. وجوه بشر منتفخة
ومتعفنة.. أطياف لأناس أعرفهم وأناس مجهولين.. رأيت وجه حسن
ووجه جابر.. أطياف كثيرة من البشر المقتولين.. عيونهم جاحظة..
ملامحهم متحجرة..

ومن بينهم اندفع عنق المخلوق وأحاط بي..

شهقت..

كانت حركة مباغته منه..

لاحظت وجود أرقام وحروف محفورة علي صدر المخلوق، أرقام

تشبه الطلاسم والتعاويذ، المكتوبة على الجدران!

بعد قليل أتى صوت المخلوق في أذني بغتة.. أتى وكأنه يقف على بُعد متر أو أقل على يساري حتى تكاد أنفاسه تلامس وجهي.. صوت خشن عميق بشكل لا يمكن تصوره :

- أردت معرفة مدى تحملك.. أنا أعرفك منذ البدء إنك استثناء.. وأعرف أننا معًا سنصنع الكثير

كان لدي العديد من الأسئلة التي أريد أن أطرحها عليه لكن شعرت أن الكلمات اختفت من عقلي.. قلت:

- غريب.. كل الأسئلة والكلام اللي كانوا دماغي اختفوا

قال:

- هذا لانني لا أريد أن أغضب منك

كنت عاجز تمامًا عن توجيه دماغي وكأنني أسأل ما يريد هو.. لا ما أريده أنا.. وأخيراً استطعت أن أسأله أهم سؤال:

- إنت تطلع إيه بالضبط..؟

لكنه لم يجب..

ثم تلاشى في الظلام!

ومرت الأيام والأسابيع والشهور..

لا أذكر عدد المرات التي قمت فيها باستدراج ضحايا للمخلوق..

أعلم فقط إنها مرات كثيرة جداً.. أكثر من قدرتي على العد.. كنت أعيش في الجحيم حرفياً.. أتذكر أنني استيقظت ذات يوم ووجدت بجواري جمّة «حسن الطيار».. رأسه على وسادتي وعيناه مفتوحتان تنظران لي في غضب!

ثم تطور الأمر وصرت أرى الموتى يتجولون في المنزل... كنت أراهم يتحركون حولي أو يجلسون يأكلون معي..

عشت في فزع رهيب.. ثم اعتدت على كل ذلك بمرور الوقت.. صارت أشباح الموتى هي أقل ما يشغل عقلي.. وأصبحت أنتظر بفارغ الصبر نداء المخلوق لي لإحضار المزيد له.. وتدرّجياً أبدعت في خداع الضحايا..

كنت أنام نهاري كله وأقضي الليل جالساً بجوار السرداب.. حارس وخادم أمين للمخلوق.. العهد الذي بيني وبينه هو أن أجلب له الضحايا وهو يكافئني بالزئبق الأحمر!

تكفل الأستاذ فوزي ببيع الزئبق الأحمر.. خشيت أن يسألني من أين أحضره لكنه أثبت أنه رجل حكيم ولم يتطرق لهذا السؤال ولا مرة.. ربما أدرك بذكائه أن في الأمر سر وإن نبش السر خطر عظيم!

بعد مرور عامين تحولت إلى صاحب شركة مقاولات وسمسرة.. مجرد شركة لغسيل الأموال التي أحصل عليها.. الحقيقة إنها كانت فكرة الأستاذ فوزي.. الغريب إنني حققت نجاحات باهرة في مجال العقارات وأصبح الناس يلقبونني بالملك!

وبعد مرور ثلاثة أعوام أخرى كنت على موعد مع انعطاف جديد



في حياتي.. كانت ليلة رأس السنة وبينما أجلس كعادتي أمام
السرداب شاهدت شيئًا عجيبيًا شاذًا.. شاهدت عشرات من رجال
الشرطة يقتحمون المكان ويشهرون أسلحتهم في وجهي.. كنت
أتوقع أن يحدث ذلك في يوم من الأيام.. مسألة اختفاء الأشخاص
هنا في المنطقة لا بد أنها جذبت عيون رجال الشرطة لي.. استسلمت
لهم بدون مقاومة.. أنا شخص مُسالِم لا أُجيد القتال..

رأيت رجال المعمل الجنائي وهم يخرجون بقايا الجثث من
السرداب..

انتظرت أن يظهر المخلوق..

سوف تدور الآن معركة رهيبه بينه وبين رجال الشرطة..

سوف يمزق الجميع..

سوف تتناثر الأشلء والدماء حالًا..

حالًا..

لكنه لم يظهر..

لا أثر له..

اندفعت داخل السرداب وأنا أنادي عليه..

لا أحد يصدق قصتي..

الجرائد تتحدث عن السفاح الذي قتل الأبرياء.. يقولون إنني

أحاول ادعاء الجنون.. مريض بانفصام الشخصية..



أنا لا أمانع أن يتم عقابي.. أنا فقط أخبركم بالحقيقة.. هناك مخلوق رهيب يعيش في السرادب!

في مستشفى الأمراض النفسية قضيت أيامي.. كنت نزيل VIP .. استحوذت على انتباه جميع الأطباء.. كانوا يستمعون لي وعلى ملامحهم نفس الذهول الذي يكسوا ملامحكم وقلوبهم تنبض بذات السرعة..

زراني مخرج شهير وطلب مني السماح له بعمل مسلسل مقتبس عن قصة حياتي.. سفاح ال****.. وبالفعل وافقت وحققت المسلسل نجاحاً باهراً لكن للأسف رفضت إداره المستشفى السماح لي بمشاهدته..

ساعات صحتي وتحولي لوني للرمادي الكئيب خصوصاً بعد أن تخلت عني زوجتي ونبذني كل شخص كنت أعرفه..

وضعوني في غرفه برفقة مريض آخر.. قال لي هذا المريض أنه يرى الجن.. والسبب أن تحت بيته مقبرة قديمة لعصور سابقة تحوي كنوز لا يمكن تخيلها وأن الجن موجودين لحماية هذه المقبرة.. وقد اصطحبه الجن للأسفل وشاهد بعينه كل تلك الكنوز الموجوده.. وأن بعض الجن كان طيب جداً معه والبعض وصل لأقصى حدود الشر.. ولهذا طلبوا منه أن يذبح طفل صغير على عتبه المقبرة حتى يقوموا بفتحها لها.. ولقد فعل!

كسرت جمجمته على أية حال.. أنا أكره الأشرار الذين يقومون

بأيذاء الأطفال.. لكن بمجرد أن تدفقت الدماء سمعت صرخة مربعة ارتجت لها الجدران.. صرخة المخلوق الذي ما زال على قيد الحياة ولا أحد يصدق أنه موجود!

جاء طبيب جديد إلى المستشفى.. اسمه «راشد».. أخبرني أنه درس في الخارج وتحديداً ألمانيا.. العجيب أنه صدق قصتي.. فكرة المخلوق والسرداب وكل شيء.. اعتبرته صديقي الوحيد.. اعتاد أن يأتي للحديث معي.. وجدت بعض المواساة والعزاء منه.. لديه هو أيضاً قصة حزينة أخبرني عنها.. حقاً نعيش في عالم غريب..

بعد سنوات من بقائي في المستشفى تكونت لدي رؤيا.. خطة جيدة للقضاء على المخلوق.. أخبرت عنها الدكتور «راشد».. انبهر بها واعتبرها لا تأتي إلا من عقل شخص مجنون فعلاً!

المهم الآن من يوافق على تنفيذها؟

الموضوع بسيط جداً.. الخطة هي...

انتهت مذكرات «صلاح» عند هذا الحد!

أغلقت المذكرات ومضيت أفكر وأسترجع كل التفاصيل التي قرأتها.. الأحداث مرعبة بشكل لا يصدق.. التفسير العقلاني يقول أن هذا مرض نفسي.. حالة من الجنون والأوهام تندرج تحت بند ضلالات.. عبث.. خداع.. أي شيء.. يمكنني توصيفه بأي شيء إلا أن أقول أنه حقيقة!

فجأة لمحت شيء يقف في نهاية الردهة كأنه كان يراقبني دون أن أشعر.. شيء ضخيم يبدو مثل إنسان له وجه عريض وعيون بيضاء مشعة.. ورغم انعدام التفاصيل بسبب وقوفه في الظلام أيقنت أنه يبتسم.. سار ناحيتي بخطوات هادئة وصامتة دون أن تصدر قدماه أي صوت!

روادتني فكرة أن يكون هذا هو المخلوق الذي تحدث عنه صلاح في مذكراته.. كان ذلك حين انطفأت الأنوار!

مرت لحظات غادرت فيها الدماء عروقي.. بصعوبة نهضت أتحسس الحائط وعينائي منفرجتان على آخرهما أستجدي أي لمحة ضوء..

صوت زمجرة مرعب..

اللعنة..

اصطدمت يدي بيد خشنة..

انتفضت وشهقت وأنا أتراجع إلى الوراء.. تعمرت فيما يبدو أنه
مقعد وسقط على ظهري..

نفس اللحظة عادت الأنوار من جديد..

تلفت حول نفسي في ارتياح..

لا شيء..

أنا فقط..

ابتسمت.. ثم قهقت في عصبية على تلك الفكرة الهستيرية التي
روادتني بخصوص المخلوق.. كيف وصل بي الحال أن أتخيل شيء
كهذا.. أعتقد أن الظلام والسكون والوحدة والأعصاب المتوترة هم
السبب.. أحتاج إلى النوم.. لدي ما يجب أن أنجزه غداً!

قررت النوم في آخر غرفة بالمنزل.. هادئة جداً.. لا ضجيج ولا
ضوء.. دش بارد ثم استلقيت على الفراش.. بدأت استعادة الموضوع
من بدايته وتدوين أدق التفاصيل في خلايا الذاكرة حتى وصلت
إلى نقطة المخلوق.. وفي ذروة التفكير بالأمر أحسست بشيء ما
غير طبيعي وكأن هناك شحنة كهربية في الجو.. شيء أشبه بتكثف
طبقات الهواء حولك وكأنك تنتقل فجأة من وسط هوائي إلى وسط
مائي!

في الصباح استيقظت فجأة ولا أذكر متى نمت.. كان الهاتف يرن
بالحاح.. أكتم الصوت دون فتح عيني.. يعاود الاتصال.. هذه النوعية
من الاتصالات أعرفها جيداً.. إما إلحاح أنعوي.. أو العمل.. حاولت
مراراً التجاهل ربما يمل المتصل.. لا فائدة.

فتحت عيني وقرأت اسم المتصل.. الأستاذ صاحب دار النشر.. لا بد أن هناك أمر ما.. أخبرني أنه يطلب مساعدتي في تحرير أحد الكتب الجديدة ويحتاج إلى إنهاء الكتاب اليوم ضروري قبل تسليمه إلى المطبعة، ثم أنهى كلامه:

- وكله بحسابه.. متقلقش

كنت معتاداً على ذلك نظراً إلى خبرتي الشديدة في مجال التدقيق اللغوي والتحرير الأدبي.. سألته:

- كتاب مين؟

- الأستاذة «مروة»

- حاضر.. مسافة السكة

وهكذا نهضت..

ابتلعت حبتي أسبرين وقرص فيتامين سي.. أعلم أنه ينبغي أن أخفف من تناول كل تلك الأدوية ولكن ليس اليوم..

حين هممت بالرحيل لمحت بقعة سوداء على الأرض في نفس المكان الذي تخيلت أن المخلوق وقف فيه بالأمس.. انحنيت أفحصها.. وجدت تراب أسود أشبه بتراب القبور.. كنت في حالة من الاضطراب غير المسبوق وحاولت طرد تلك الفكرة من رأسي.. فكرة أن المخلوق كان بالفعل معي الليلة الماضية!

وصلت إلى مقر دار النشر..

دخلت إلى مكتبي وقضيت حوالي عشرين دقيقة أتصفح البريد ثم أنهيت فنجان قهوة قبل أن أسمع طرق على الباب وتدخل السوبر ستار وصاروخ الكتابة القادم من المستقبل.. الأستاذة «مروة».. الفرسة الشقية ذات المنحنيات القياسية وأطنان مساحيق التجميل.. كانت تكتب في مجال أدب الرعب.. جلسنا سويًا نقوم بتنقيح الفصول.. رواية عادية حول دجالة اسمها «خواتم» يتم الاستحواذ عليها بواسطة كيان شيطاني.. قالت مروة:

- تعرف أنني اقتبست شخصية «خواتم» من شخصية « علوان العارف»؟

- هو مش ده برضه اللي بيظهر على الفضائيات؟

أجابت مبتسمة:

- أيوه هو.. ده بيقول إنه يقدر يعرف ميعاد موت أي حد.

قلت في حدة:

- دجال

- لا .. مخاوي

لوحث بيدي:

- مش هتفرق

- أنا بتكلم جد.. أنا عارفة إن صعب حد يصدق ده

تنهدت وأنا أقول:

- الدين بيقول غير كدا

هزت كتفيها ثم قالت:

- الموضوع مالوش دعوة بالأديان

قلت في عناد:

- برضه أنا مش مؤمن بالكلام ده

غمغمت قائله:

- الأمور دي مش مستنيه إنك تكون مؤمن بيها علشان تكون

موجوده.. «علوان العارف» اتنبأ بموت ناس كتيره جداً وآخرها موت

فنان شهير.. ومصر كلها اتكلمت عن الموضوع ده

سألته:

- وبفرض إنه يقدر فعلاً.. هنستفاد إيه لما نعرف هنموت إمتى؟

أجابت في سرعة:

- على الأقل ترتب حياتك وتجهز للموت.

قلت بنفس السرعة:

- كلام فارغ

أطلقت ضحكة رقيقة ناعمة ثم قالت:

- الكلام الفارغ ده هو حديث الساعة .. الناس بتحب القصص اللي

من النوع ده.. ولا عاوزني أكتب قصص فاشله زيك

استفزني كلامها فقلت:

- طيب إيه رأيك بقى أن أنا عندي فكرة رواية هتكسر الدنيا..
ومش بس كدا.. دي كمان مقتبسة من أحداث حقيقية.

ولمدة نصف ساعة كاملة رحنا أحكي لها قصة صلاح مع إضافة
عنصر الرعب وإخفاء بعض التفاصيل، وحين انتهيت قالت:

- فكرة حلوة.. ولو اتكثرت صح ممكن تنقلك حنة تانية وتبقى اسم
كبير

قلت في ثقة:

- عارف...

ثم تراجعنا في مقعدي وأنا أستطرد:

- بس أنا تركيزي دلوقتي منصب على صدق القصة أو كذبها

هتفت قائله:

- أنا مصدقه صلاح

نظرت لها بتعجب:

- حد يصدق إنسان مجنون!

قالت في حماس مدهش:

- أنا طبعا

ثم أضافت بنبرة عجيبة:

- تحب أساعدك.. عندي خبرة كويسة في علم الطاقة والفلك

غمغم صوتي الداخلي:

- قولها آه.. قولها آه

قلت وأنا أنظر في عينيها الزرقاء التي تبدو كعاصفة متحركة:

- موافق طبقًا

ابتسمت في نعومة وقالت:

- بقولك يا نبيل.. تعرف إنك النهارده sexy أوي

قرأت قديمًا مقولة لـ «هيمنغواي» يقول فيها «هناك علاقة عكسية

بين ثقة المرأة بنفسها وكم مساحيق التجميل التي تستعملها».

عزيزي «هيمنغواي» أنت بالتأكيد لم تسمع عن «مروة»!

قلت لها:

- ربنا يخليكي

وعدت أنني الكتابة بينما صوتي الداخلي يصرخ:

- يا غشيم.. يا فاشل

خرجت من مقر دار النشر وبعد ساعة تقريبًا كنت في مستشفى

العباسية أبحث عن الدكتورة صفاء.. لم أعر عليها.. أخبروني أنها

تأخذ استراحة في مطعم قريب.. اتجهت إلى هناك مباشرة ووصلت

بعد عشر دقائق تقريبًا.. المطعم لم يكن مزدحمًا.. كان هادئًا جدًا.. ثمة

صوت موسيقى ناعم ينبعث في المكان.. عثرت على الدكتوراة صفاء
تجلس بمفردها وبين يديها كتاب تقرأه بتركيز شديد.. فوق مائدتها
وضع فنجان قهوة.. سحبت المقعد المواجه لها وجلست وأنا أقول :

- عندك مانع أقعد معاكي شوية

بمجرد أن رأني ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفثيها ووضع
الكتاب جانبا وهتفت:

- ما خلاص إنت قعدت

فتحت قائمة الطعام وقلت:

- الأكل هنا كويس؟

قالت وهي تمط شفثيها:

- الحاجة الوحيدة اللي جربتها هي السلطة.. وكانت كويسة

- هطلب ليا فراخ.. إيه رأيك؟

غمغمت قائلة :

- كلها عقاقير غريبة وهرمونات نمو ومواد كيميائية و...

قاطعتها:

- بس.. بس.. خلاص فهمت

وناديت على عامل المطعم وطلبت منه نصف فرخة مشوية
وأضفت قائلاً في مرح:

- وكتر فيها العقاقير والمواد الكيميائية وحياة أبوك

- تحت أمرك يا فندم

ضحكت صفاء ثم خلعت نظارتها وقالت:

- قولي بقى جاي ليه؟

قلت في جدية:

- عاوز أعرف رأيك في حالة «صلاح»؟

أجابت في سرعة:

- حالة شيزوفرينا واضحة جداً.

أشرت بيدي:

- يعني المريض بيكون عنده شخصيتين؟

هزت رأسها وقالت :

- المريض في متلازمة الشيزوفرينيا بيعاني من اضطرابات في عملية التحليل الذهني سواء بقى في تحليل الأفكار أو الحواس وغيره.. كلمة شيزوفرينيا أصلها يوناني «سكنزوافرينيا».. «سكنزوا» بمعنى انفصال، «فرينيا» بتشير للمخ.. فالتنين بمعنى الانفصال عن الواقع أو العقل.

سألها:

- طيب أيه أعراض المرض؟

مالت نحوي وأجابت في هدوء عجيب :

- الأعراض بتختلف من شخص للثاني.. بتبدأ بهلاوس سمعية أو بصرية، الهلاوس دي زي معلاً في حالة أحمد حلمي في فيلمه آسف على الإزعاج لما شاف واحدة في الكافيه وحبها جداً وفي الآخر اكتشف إن كل ده مجرد هلاوس، ده غير طبقاً الهلاوس السمعية زي سماع صوت حد بيحرضك تأذي غيرك أو نفسك.. الأصوات دي مش بتكون حاجة دخيلة عليك، إنت بتصدقها جداً، وأحياناً الأصوات دي المريض بيستجيب لها حتى لو عارف إن اللي بيعمله غلط.

ورجعت بظهرها للكرسي وعادت تقول:

- كمان الضلالات هي من الأعراض المشهوره ودي عبارة عن قناعات مبنية على حجج أو أساس غلط المريض وحده هو اللي بيشف أنها صح، وارد جداً الكلام ده يظهر في صورة شك، بتشوف إن حد دايقاً بيطاردك أو وحش بيهددك بالموت.

اندفعت أقول :

- طيب إيه تفسيرك للمخلوق أو الوحش اللي اتكلم عنه صلاح؟

ارتشفت رشفة من فنجان قهوتها ثم قالت في بطة:

- عادة حكايات المرضى بتكون تعبير عن مخاوف وهواجس عندهم.. لكن لو تاملنا الحكايات دي نقدر نشوف الرموز النفسية الموجودة جواها واللي من خلالها نقدر نفهم شخصية المريض، الوحش أو الغول اللي بيظهر لصلاح هو انعكاس له، مش قادر يشوف صورته الحقيقية

قلت وأنا أفكر في عمق:

- فكرتيني بالأسطورة الإغريقية بتاعت «نيرسوس» الصياد المغرور اللي كان معجب بنفسه، ولما الآلهه حبت تعاقبه وتلعنه، خلته ميعرفش شكله، أصبح لما يبص على نفسه في المرايا يشوف حد تاني .

قطع حديتنا نزول الطعام.. العامل وضع الأطباق أمامي وتحقق من أنه أحضر كل المطلوب ثم سألني إذا كنت أرغب في شيء آخر فشكرته.. تنهدت الدكتوراه صفاء ثم قالت:

- إنت عارف إيه أكبر مشكله في أعراض المرض ده يا نبيل ؟
- إيه؟

انعقد حاجباها وهى تقول:

- إنه مرض مزمن، يعني أعراضه تدريجية، وبتأخذ وقت لحد ما تبان.

ثم أخرجت هاتفها وفتحت مقطع فيديو وقالت :

- ده تسجيل لأحد المرضى.

تناولت منها الهاتف وبدأت أشاهد مقطع الفيديو.. كان يظهر فيه شاب يجلس داخل غرفة بيضاء ضيقة وهو يتحدث ويقول بصوت مضطرب:

- فجأة ظهر قدامي وحوش، وحوش شكلهم بشع ومخيف، بيقتربوا مني، بيحاولوا يمسكوني وعايزين يحرقوني، حاولت أبعدهم، بدأت أتحرك يمين وشمال عشان أتفاداهم بس كانوا كتير..

قربوا مني وهما بيضحكوا في وشي ضحكات مرعبة..

جريت ودخلت المطبخ، فتحت الدرج وخرجت ساطور وسكينة كبيرة، هما لما شافوا السكينة والساطور خافوا، ورجعوا لورا، بس ملامحهم الشيطانية كانت لسه مليانة شر، حركت الساطور في الهواء، ونزلت بيه بكل قوتي على رقبة أقرب واحد ليا، شفت رقبتة بتطير ونار بتطلع منها بدل الدم، بقية الشياطين إترعبوا مني، حاولوا يهربوا.. جريت ورا واحد تاني منهم.. قدرت أحاصره في ركن قريب، حاول إنه يقول حاجة، بس الصوت اللي خرج منه كان مرعب، قررت أتخلص عليه عشان صوته ميخليش قلبي يقف من كتر الخوف، قتلته ووقع على الأرض فظهرت حواليه بركة نار بلعته في ثواني!

جريت ورا الباقيين، واحد ورا التاني، خلصت عليهم كلهم، محدش منهم قدر يهرب مني، بس اتبقى منهم واحد قال حاجة مقدرتش أفهمها، حاول يدافع عن نفسه، لكن ضربته بالساطور، راقبت رأسه المقطوعة وهي بتطير بعيد والنار بتنفجر من رقبتة.

وانتهى الفيديو بضحك هستيري للمريض!

قالت الدكتورة صفاء وهي تتنهد في عمق:

- الوحوش اللي المريض بتكلم عليهم دول كانوا أهله.. أمه وأبوه وإخواته.. قتلهم كلهم بطريقة بشعة.. لازم تعرف يا نبيل إن في شعرة رفيعة بين الخيال والحقيقة ولو اتقطعت مبتجبش غير الدم والقتل.

عدت أنظر إلى صورة المريض وهو ما زال يضحك.. ولسبب ما شعرت أن من يضحك في تلك اللحظة هو صلاح.. وأن صوته يرن بلا انقطاع.

لمدة عشر دقائق كنت أقف تحت دوش الماء الساخن، وأنا أسترجع في ذهني باقي الحوار الذي بيني وبين الدكتورة صفاء، حين سألتها عن أسباب هذا المرض وهل هو وراثي أم بيئي؟ أجابت قائلة :

- العلماء لاحظوا إن مريض فصام من كل عشرة أشخاص كان أبوه أو أمه مصابين بالفصام، وعلشان كده العلماء قرروا الدراسة على أطفال حد من أسرتهم مصاب بالفصام، فكانوا مملًا بياخدوا حد من التوأم ويتربى وسط أسرة عادية طبيعية، والتاني بيفضل في نفس الأسرة اللي والديه حد فيهم مصاب بالفصام.. وهنا العلماء اكتشفوا إن الطفل الأول متأثرش بالبيئة اللي حوله والاستعداد الجيني للفصام اللي وارثه من والديه ظل عنده نفس اللي عند أخوه التوأم، الفصام أصله وراثي والبيئة آه قد تكون عوامل مساعدة لنشأته أو لتطوره لكن مش هي الأساس زي العامل الوراثي، بصفة عامة لو واحد من الوالدين كان مصاب بالمرض هتكون نسبة الإصابة ١٦%، ولو الأب والأم ناقلين للمرض فنسبة الإصابة هتزيد ل٤٠%.

فكرت في كلامها ثم حدثت نفسي.. إذا افترضنا إن والد صلاح كان مريض فصام، وقام بقتل زوجته ثم انتحر، ربما يكون المرض قد انتقل إلى صلاح، وكل ما قرأته في مذكراته هو مجرد ضلالات.. أعلم جيداً أنه ليس هناك أكثر تعقيداً من النفس البشرية.. لا أحد

يستطيع سبر أغوارها مهما بلغت مهارته أو علمه.. كل إنسان لابد له من جزء خفي لا يبصره أحد.. لا صديق ولا غير صديق.

أنهيت حمامي وخرجت.. ارتديت ملابس نظيفة وقررت الذهاب للقاء «رباب» زوجه صلاح.. لدي تحقيق جيد يصلح للنشر لكن أحتاج إلى مزيد من التفاصيل والأفضل أن أسمعها من الزوجة نفسها.. بالتأكيد لديها جانب آخر من القصة.. اتصلت على «مروة» وأخبرتها بتفاصيل ما دار بيني وبين الدكتورة صفاء وطلبت منها أن تقابلني.. سألتني:

- على فين يا نبيل؟

- محتاج أقابل «رباب» زوجه صلاح وأتكلم معاها

- خلاص نتقابل عند دار النشر

- لا.. أنا هعدي عليكى بالعربية وأخذك ونروح على بيت رباب

مباشرة

- اتفقنا

وبالفعل بعد نصف ساعه كنت أنا ومروة في طريقنا إلى حيث تسكن «رباب».. وصلنا إلى فيلا فخمة جداً في منطقة راقية.. لا شك أن فلوس الزئبق الأحمر فعلت الكثير!

قالت مروة وهى تتلفت حولها:

- المكان هادي أكثر من اللازم

اقتربت من باب الفيلا وقرعت الجرس وأنا أرتب في رأسي أكثر

من سيناريو وطريقة أبدأ بها الحوار.. تلقيت صمًا.. دقيقة وناديت..
قالت مروة في انزعاج وهي تشير إلى تحت قدمي:

- المية دي جاية منين؟

فوجئت ببعض المياه تخرج من تحت عقب الباب.. انتابني القلق
ورحت أضرب الجرس عدة مرات..

لا مجيب..

وضعت أذني على الباب.. سمعت صوت حنفية مفتوحة يتدفق
منها الماء.. ما الذي ينبغي أن أفعله.. هل أظل واقفًا هكذا أم أكسر
الباب أم أحاول الاتصال بالشرطة؟ وقبل أن أتخذ قراري وجدت
الباب يتحرك وصار المجال أمامي مفتوح للدخول!

قالت مروة وهي تتراجع للوراء:

- أنا شايفه نتصل بالبوليس أحسن

- ليه.. خايفه؟!

لم ترد!

أمسكت يدها وتقدمنا سويًا للأمام.. توجد رائحة كريهة جداً تنبعث
في الأرجاء.. لمحت صورة لصلاح معلقه على الحائط ويبدو فيها
أنيق وأكثر وسامة مما رأيته.. كان الماء يتدفق ويغمر الأرضية كلها
بينما الهواء يصفر من حولي كأنه يمر من ثقب ضيق جداً.. لم أستطع
منع رجفة سرت في جسدي حين سمعت هذا الصغير.. تذكرت جزء
من الحوار الذي دار بين جابر وصلاح حين قال له:

- صوت الصفير هو الطريقة اللي بيسحب الناس بيها.. وبعد لما يموتك هيلبس جلدك، ويبقى شبهك، وحتى هيتكلم شبهك.. بس عمره ما هيكون إنت.. وخذ بالك، لو دخل بيتك مرة، هيقدر يدخله كل يوم مدى الحياة، وهيقدر يوصلك إنت كمان بسهولة.

أكملت طريقي وتتبع سير المياه حتى وصلت إلى الحمام.. أصبحت الرائحة الكريهة لا تطاق.. رأيت على الأرض امرأة ميتة، متصلبة الجسد، ترتدي ملابس داخلية، ومنحنية على نفسها، والمياه تنهمر فوق رأسها!

شهقت مروة في رعب وكتمت صرخة كادت أن تخرج منها.. أغلقت الماء ورفعت رأس المرأة بحذر.. كانت «رباب» زوجة صلاح!

قالت مروة وهي تعلم إنها مخطئة:

- إنت قلت إن رباب مريضة بالسكري.. احتمال تكون جت لها غيبوبة سكر وماتت في البانيو وغرقت فيه.

لا أعلم.. كل ما أعلمه هو أن رباب ميتة وعلى وجهها نظرة فزع هائلة وعيناها جاحظتان وفمها معوج بطريقة تدل على الرعب والألم كأنها شاهدت شيء أفزعها وأوقف قلبها.. السؤال هنا ما الذي ظهر لها لتموت هكذا؟

تحركت أنا ومروة متجاوزين موائد الملهى وأنا أبحث ببصري عن
الدكتور «راشد» بينما المسرح يشتعل بوجود مطرب شعبي وراقصة
شبه عارئة.. المطرب يشدو بصوت حقيير:

يا غزال الدرب الأحمر

الراقصة تتلوى وتهز نهدها حتى يكاد يغادر صدرها.. يصعد رجل
موفور الحيوية ويخرج رزمة نقود ينثر منها بعض الأوراق فوق
رأس الراقصة ثم يضع الباقي في صدرها وهو يتحسسها.. يهرع أحد
الشباب العاملين ويجمع النقود المنتورة ويعود إلى مكانه.. يزداد
الايقاع ضجيجًا وترد الراقصة بحركات أكثر فجوراً.. المطرب ما زال
يغني بنفس الحقارة:

آه يا عيني ع الشقاوة

شاهدت الدكتور راشد يجلس بمفرده وقد صبغ شعره الأبيض
وارتدى قميص أحمر اللون مفتوحاً عند عنقه.. أمامه زجاجة
«ويسكي» مستورد وطبق مكسرات وكوبًا لامعًا وقئينة ثلج.. يصب
من الزجاجة ثم يتجرع على مهل!

لمحني في تلك اللحظة فأشار لي من بعيد.. اتجهت نحوه ثم
جلست أنا ومروة في مواجهته وبعد بعض كلمات الترحيب التقليدية
قدم لنا بضعة كؤوس من المشروب.. في البداية فكرت أن أرفض
لكي أبقى مُنتبهاً لكن مروة تجرعت أول كأس وابتسمت قائلة:

- اشرب يا نبيل

رشفت جرعه من الكحول وأغمضت عيني.. تجسد في ذهني
مشهد زوجة صلاح وهى ميتة داخل حوض الاستحمام.. تناولت
كأسين آخريين حتى أحسست أنني أفضل حالاً.. ضحك راشد ثم
قال بنبرة ساخرة:

- فكرتك أول مرة تشرب

- اتعودت أشرب لوحدي.. شرب الخمرة يا صديقي علاقة حميمة..
زي علاقة الراجل بالست في أوضة النوم.. مينفعش حد ثاني
يشوفهم.

هتفت مروة في استنكار:

- بطل قلة أدب

ضحك لها الدكتور «راشد» قائلاً:

- الخمرة شكلها لعبت في دماغه

والتفت لي وهو يضيف في جدية:

- قوللي بقى.. جاي تقابلني ليه؟

قلت:

- مش يمكن جاي هنا أنا ومروة نسهر وشوفتك بالصدفة

استرق نظرة خاطفة إلي ثم إلى «مروة» قبل أن يقول:

- العب غيرها.. أنا دكتور نفسي يا حبيبي

ونظر في عيني مكماً:

- إنت عاوز تسألني عن صلاح.. صح؟

- صح

ضحك:

- وطبعًا إنت قعدت مع الدكتورة صفاء وفضلت تقنعك وتحكي
ليك عن الفصام وإنه وراثي وكل الكلام المحفوظ ده واللي لو فتحت
جوجل هتلاقيه عادي جداً

سألته في اهتمام:

- طيب ما تقولي إنت إيه اللي مش موجود على جوجل وموجود
عندك إنت بس؟

مال برأسه ناحيتي:

- أنا مؤمن بكل كلمة قالها صلاح.. كل كلمه قالها حوالين المخلوق
حصلت بجد

قلت مندهشًا:

- بس إنت دكتور.. وكمان درست في أوروبا، ألمانيا تحديدًا حسب
ما سمعت.. يعني المفروض متصدقش في الحاجات دي

قال في حزم:

- مش كل اللي بندرسه بنلاقيه يا نبيل.. في أوروبا صحيح مش
بيؤمنوا بالجن مثلًا بس بيؤمنوا بالأرواح الشريرة والأرواح الطيبة
ودي حاجة مستحيل نصدقها.. فالمعادلة هنا متوازية.. إنت بالنسبة

لك الحاجات الخارقة جن أما هما أرواح.

تدخلت مروة في الحوار فجأة وقالت:

- أنت حكايتك إيه بالضبط يا دكتور راشد؟

التفت لها الدكتور راشد وابتسم ثم غمغم قائلاً

- مستعده تسمعي؟

- إحنا أصلاً جايين عشان نسمعك

تنهد الدكتور راشد قبل أن يقول:

- طيب خليني أحكي ليك القصة كاملة.. أنا بعد لما خلصت دراستي في ألمانيا ورجعت من هناك، رجعت علي قريتنا مباشرة.. أهل البلد كلها استقبلتني استقبال حافل ولأني ابن العمدة اتقامت الأفراح في البلد برجوع الدكتور ابن العمدة بعد سنين في بلاد بره.. اتعينت واشتغلت واتجوزت كمان.. اتجوزت دكتورة زميلتي.. جواز تقليدي مفيهوش حب بس تدريجيًا ومع العشرة والمعاملة الطيبة حبتها جدًّا.. لكن فجأة تصرفتها اتغيرت.. بقت بتحب الوحدة والعزلة ومبقتش طايقة تشوفني...

ثم سكب لنفسه كأس آخر:

- ماكنتش فاهم في إيه وليه التغير المفاجيء ده لحد ما بقت تظهر تعابين وعقارب وحشرات غريبة الشكل والمظهر على سريري.. اتصلت بالتنضيف والغريب إن ملقناش في البيت أي فتحات أو جحور تدخل الحاجات دي...

وشرب كأسه دفعه واحدة:

- بس الموضوع اتطور لدرجة بقيت أسمع أصوات ناس بتنادي على بعض.. وشكل مراتي بقي يتغير جداً لما أقرب منها.. أقسمك إن عينها أحياناً بتبقي سوده بالكامل.. أول حاجة عملتها إنني بدأت بالطب النفسي وعرضتها على أكبر اخصائين وعملت كل شيء ممكن يخطر على بالك بس مفيش فايده حالتها اتدهورت أكثر.. بدأ الناس ينصحوني على استحياء إنني أخدها لشيخ أو راقي شرعي وإنها ممكن تكون مسحورة بعمل سفلي

حدقت في وجهه وأنا أحته على أن يكمل:

- وبعدين؟

تسلل الألم والخوف إلى وجهه وهو يقول:

- اللي حصل بعد كده صعب حد يصدق.. في ليلة كنا نايمين وصحيت فجأة.. بصيت لقيت شيء بيتكون في ركن الأوضة.. شيء زي الضل عمال يكبر كل شوية.. حسيت إنني أصبت بالشلل.. مقدرتش أتحرك من مكاني وأنا شايف الضل ده بيتجسد على هيئة بني آدم نحيف جداً.. كنت حاسس إنني هفقد الوعي من الخوف.. مستحيل دا يكون حقيقي.. بس الكارثة إنه حقيقي وواقعي وبشوفه بيحصل قدام عينيا...

ثم تنهد في عمق وبدأ صوته يرتجف وهو يستطرد:

- بعد شوية لقيت الشيء ده بيمد إيده عشان تخترق الحيطه وكأنه بيساعد حد إنه يعبر عندنا الأوضة.. وده اللي حصل فعلاً..

خرج كائن ثاني.. أو شيء ثاني.. نفس المواصفات الجسديه..
نحيف وملامحه مش واضح.. ولكنه بيتحرك علي إيديه ورجليه
مع بعض.. المخلوقات كانت بتخرج منهم أصوات شوشرة غريبة
كأنهم بيتكلموا أو بيتناقشوا مع بعض.. وبعدين راحوا ناحية مراتي
وفضلوا يلمسوا جسمها في أماكن حساسة.. مراتي صحيت والغريب
إنها مصرختش لما شافتهم.. حسيت إنها مستسلمه لهم تماماً.. قامت
واتحركت معاهم وكأنها مسلوبة الإراده.. سحبوها من إيديها لغاية
لما دخلوا الحيطه واختفوا هما التلاته.

سألته مروة في لهفة:

- وعملت إيه؟

غمغم قائلاً:

- اتصلت على الشرطة وبلغت باختفاءها.

قلت:

- وحكيت لهم الكلام ده؟

أجاب في عصبية:

- لأ طبعا

هتفت مروة في حدة:

- كان لازم تقول لهم الحقيقة

قال لها الدكتور «راشد» وعصبيته تتزايد:

- كنت عاوزاني أقول لهم إيه؟ أقول إن مراتي خطفتها مخلوقات من عالم ثاني.. مكنش حد هيصدقني...

ثم ضحك في مرارة وأضاف:

- ومش بعيد كنت أكون دلوقتي واخد جناح محترم في مستشفى العباسية.

قالت مروة:

- يعني إنت تفسيرك إن الجن هو اللي خطف مراتك.. مضبوط؟

صاح في حده:

- اللي خطف مراتي مش جن، دول مخلوقات ثانية، صدقني يا نبيل عالما فيه مخلوقات مجهوله، كائنات ظلامية إحنا منعرفش عنها حاجة، جايين من عالم ثاني، ومش بعيد يكون المخلوق اللي اتكلم عنه صلاح واحد منهم.

قلت في انفعال:

- مش قادر أتخيل

مد يده وتناول سيجارة وأشعلها ثم أخذ منها نفسًا طويلًا قبل أن يقول:

- أنا عارف إن كلامي غريب بس إيه في الزمان دا مبقاش غريب يا نبيل؟ عارف إنت الشوشرة اللي بتسمعها لما تحرك مؤشر الراديو.. احتمال كبير تكون مش مجرد شوشرة لكنها أصوات المخلوقات دي وإحنا بنرصدها بالصدفة.

رمقته بنظرة شك:

- ليه بتقول كدا؟

سحب نفس من سيجارته:

- لأنها نفس أصوات المخلوقات اللي ظهرت لي ونفس صوت المخلوق اللي اتكلم عنه صلاح في مذكراته.

بدا لي كلام الدكتور راشد مخيفًا جدًا.. ماذا لو كان بالفعل هناك عالم آخر يحيط بنا ويحوي مخلوقات رهيبة لا نستطيع أن نرصدها.

انتفضت حين رن جرس المنبة وانتزعني من النوم.. شعرت بصداع ناجم عن شرب الخمر وبمذاق الأسمنت في فمي وغيان رهيب.. في البداية لم أكن أعرف أين أنا ثم أدركت الحقيقة المحزنة.. اكتشفت أن بجواري على الفراش امرأة شبه عارية ومستغرقة في نوم عميق.. امرأه بيضاء كاللبن الحليب وشعرها يغطي معظم وجهها!

أزحت بعض خصلات شعرها فظهرت ملامحها.. «مروة».. لا أذكر كيف تورطت معها ووصلنا إلى هنا.. تأملتها بأسف عظيم لأنني لا أذكر شيء.. لمست كتفها وقلت:

- مروة

لم تتحرك ولم تفتح جفنيها.. فقط تأوهات في نعومة وأكملت نومها.. قلت:

- زي الفل

ألقيت نظرة على ساعة يدي.. كانت تشير إلى الثانية ظهراً..
جررت قدمي بصعوبة إلى الحمام ولمدة ربع ساعة تركت نفسي
تحت الماء.. خرجت وقد اشتد بي الصداع أكثر وضغط على
جمجمتي بعناد شديد.. كنت أحتاج إلى قرص أسبرين أو أي مسكن
للألم.. نبشت في علبة الأدوية حتى عثرت على ما أبحث عنه..
تناولت قرصين أسبرين واتجهت للمطبخ بحثًا عن القهوة.. فتحت
جميع العلب.. لا يوجد بن.. استسلمت للأمر الواقع وقمت بإعداد
كوب شاي، وتناولته مع بقايا البيتزا التي اشتريتها بالأمس.

انتقلت إلى الردهة وجلست أقرأ مذكرات صلاح مجدداً.. فجأة
تجسدت أمام عيني صورته بوجهه الشاحب وعينيه الزائغتين..
تخليته وهو يقدمني أضحية للمخلوق..

رحت أبحث في مواقع الانترنت المختلفة.. أقرأ المقالات وأشاهد
بعض الفيديوهات القصيرة التي تتحدث عن الكائنات الظلامية
الأخرى.. كل المواضيع تبدو متشابهة لا نهاية لها. بعد مدة سمعت
باب غرفة النوم يتحرك ولمحت مروة تخرج:

- صباح الخير

- صباح النور

قالتها ودخلت الحمام.. ناديت عليها:

- مفتاح موتور الميه جنب الحوض

سمعت صوت المياه تنهمر، وبعد مدة خرجت وهي عارية تمامًا
باستعناء منشفة تحيط بصدرها وتنزل حتى فخذيها. اتجهت إلى

المطبخ ورأيتها تفتحت باب العلاجة وهى تقول:

- هو إنت معندكش أكل؟

قلت وأنا أغمس البيتزا في الشاي:

- دي آخر حطة بيتزا

- معفن

- شكراً

- طيب فيه قهوة؟

- فيه شاي

- إنت عايش إزاي كدا!

- بالصدفة البحتة

لحظات ثم جاءت وجلست بجواري.. قالت وهى ترتشف الشاي:

- وصلت لغاية فين؟

أشرت على مذكرات وصلاح وقلت:

- بصراحة أنا في حيرة كبيرة من ساعة لما قررتها

وبدأنا نتناقش ونحاول الوصول إلى قرار بشأن حقيقة المخلوق.. هل نذهب إلى التفسير العلمي ونقول إنه مجرد خيال مريض مصاب باضطراب نفسي.. إم نذهب إلى التفسير الماورائي ونقول إنه وحش حقيقي؟ للأمانة لا أجد كفة ترجح تفسير عن الآخر.. كلاهما متساويان بالنسبة لي حتى الآن.. هل أصدق كلام صلاح أم أصدق

كلام العلم.. ما هي حقيقة المخلوق ومن أين جاء؟

قالت مروة:

- تسمع عن كائنات "Ro-langs"

- لا.. ودول حكايتهم إيه هما كمان؟

- «Ro-langs» معناها الحرفي الموتى اللي صحوا.

- زومبي يعني

- هي حاجة زي الزومبي كدة لكن أخطر.. الكائنات دي مش عايزة

تاكلك، هي عايزة تنهي وجودك البشري تمامًا

- طيب من البداية كدا واحكي لي قصة المخلوقات دي

- في جبال التبت موجود جماعة من الرهبان المعتزلين عندهم

معتقد إن إحنا مش لوحدنا في الكون وإن روح الإنسان ملتزمة

بالوجود مع جسمه، ولو خرجت لأي سبب، زي مثلا لو مر بتجربة

موت وشيك أو حاجة، ممكن أوي إن شيء أو روح تانيه تدخل

مكانها، وتفضل الروح الأصلية تايهه.. بمعنى بسيط.. هما بيعتبروا

إن أجسام البشر أوعية، لو الروح خرجت، ممكن يبجي حاجة تانية

مكانها.. حاجة شر...

قاطعتها:

- شر زي إيه؟

ابتسمت وقالت في هدوء عجيب:

- رهبان التبت دول كان معاهم علم قوي جداً عن الأرواح والعوالم
اللي حوالينا .. علم بيخلي الراهب منهم لما يكبر في السن ويقرب
من الموت يتفق مع أي شاب متطوع ، يعمل طقس بعد ما يموت،
ويدخل روحه في جسم الشاب اللي تطوع وخلي روحه تسيب
جسده، علشان الراهب يتعلم أكثر ويعيش زمن أكثر.

قلت بنفاد صبر:

- جميل.. بس كل ده ايه علاقته بكائنات «Ro-langs»؟!

مالت نحوي وقالت:

- هفهمك حاضر.. على الناحية الثانية في مجموعة رهبان ثانية
منشقين عنهم وعندهم نفس العلم وبيستخدموا نفس الطقوس
لكنهم بيعملوها على أجساد الموتى.. وبيقدروا يستخدموا الأجساد
دي في إنها تبقى مأوى لحاجة ثانية خالص، حاجة شر جاية من
عالم البرزخ.

ثم اعتدلت وأضافت:

- الأجساد دي بتصحى وبتبقى بشعة لأقصى درجة لأن داخلها
أرواح كيانات جاية من بعد أو عالم ثاني.. هدفهم مش بس إنهم
يقتلوك لكن ينهوا وجودك البشري.. وهما دول «Ro-langs».

حدقت في وجهها:

- بفرض إنهم حقيقيين هل في طريقة للتخلص منهم ؟

هزت رأسها قائلة :

- للأسف ما لهمش نقطه ضعف.

سألتها في دهشة:

- طيب ليه صنعوها إذا كانت شريره كدا؟

أجابت مروة في سرعة:

- يقال إن رؤوس «Ro-langs» بعد لما بتتقطع بتتحول لذهب، ولما بيتصنعوا، الساحر أو الراهب اللي صنعهم بيقطع رؤوسهم وبيجمعهم، أما الجسم فييدفنه تحت الأرض، وتبقى مصيبة لو حد حفر أو لقيه بالصدفة.

غمغمت قائلاً في عصبية:

- بس هما أسطورة.. صح؟

صمتت قرابة دقيقة قبل أن تجيب:

- صح...

ثم انعقد حاجباها وهي تستطرد:

- بس الغريب إن أسطورة الكائنات دي منتشرة وفي إيمان كامل بوجودها.. بمعنى إنها مش حاجة جديدة.. في إيمان تام بوجودها وتصديق رهيب لدرجة تخليك تشك إنها موجودة فعلاً وحصل منها هجوم قبل كدة فعلاً

- يعني إنتي تقصدي إن المخلوق اللي عايش في السرداب هو من المخلوقات دي؟

- ليه لأ

- يبقى إنتي مؤمنة بوجودهم؟

التمعت عينها:

- أنا مؤمنة إن في عالما مخلوقات خطيرة منعرفش عنها حاجة جايه من عالم ثاني.. ناس بيقولوا إن ده عالم البرزخ.. والكائنات دي بتقدر توصل لعالمنا بأكثر من طريقة.. سوا بقى تتفتح بينا وبينهم بوابة، أو بيتم استحضارهم زي ما بيعمل رهبان التبت.

قالت ذلك ثم تناولت مذكرات صلاح وأردفت في حماس:

- ومذكرات صلاح أكبر دليل على كدا

فجأة سقط من غلاف المذكرات بضعة أوراق قديمة يبدو أنها كانت مدسوسة بمهارة بين جلدي الغلاف!

تبادلت أنا ومروة نظرات الدهشة والتعجب.. تناولت الأوراق وتصفححتها بسرعة.. كانت مذكرات أخرى لشخص آخر!

لماذا أخفاها صلاح بتلك الطريقة؟

قرأت السطور الأولى وشهقت من الصدمة.. التفت إلى مروة وقلت في حماس:

- الورق ده فيه قصة المخلوق

- مستني إيه.. يلا اقرا بسرعة

وبالفعل وبدأت أقرأ.. كان مكتوب التالي..

اسمي سليمان...

اسمي سليمان..

أخبروني أنهم عمروا على وأنا طفل أمام باب مسجد القرية.. قصة تقليدية.. امرأة تلد في الحرام وتلقي وليدها عند أقرب مسجد أو ملجأ.. قريتنا لا يوجد بها ملاجئ ولهذا لم يكن هناك سوى خيار واحد!

أحيانا في الليالي المظلمه أتخيل أمي كامرأة مذعورة تجري في الليل والسماء تمطر فوق رأسها.. تتلفت يمينًا ويسارًا تخشى أن يكون هناك من يراقبها.. تلقيني على عتبة المسجد وتغادر مسرعة.. تختفي دون أثر!

تمنيت لو كانت هناك علامة على جسدي مثل الأفلام العربي القديمة واكتشف في النهاية أنني ابن أسرة ثرية ثم أذهب لأنتقل للعيش معهم في القصر وفي الخلفية موسيقى رائعة وراقصة بارعة.. المؤسف أن القرية بالكامل فقيرة إلى حد رهيب، ومن المؤكد أن أمي من بناتها، مستحيل أن تكون من مكان آخر وقطعت كل تلك المسافة لتلقيني هنا.. أشعر دائمًا أنها تراقبني.. لكن من هي..؟ سمعت كلام عن «هدى» بنت شيخ البلد التي ترفض الزواج.. «نعيمة» الغازية راقصة الموالد.. «أشجان» التي هربت من أهلها!

عشت على أطراف القرية مع «رضوان» الحانوتي.. رجل طيب لم يتزوج ولا ينوي الزواج.. يقولون عنه «رضوان الممسوس».. هو لم ينكر ذلك.. تحدث معي ذات يوم عن تلك الجنية العاشقة «مأمونة»

التي تسيطر عليه وتدخل فراشه بعد أن ينام الآخرون.. كان يقول وهو ينفث دخان سيجارته ويهز رأسه في طرب:

- آه لو شوفتها يا واد يا سليمان.. تقولش «هند رستم» في فيلم صراع في النيل

ثم يمرر إصبع أسفل شاربه ويفتل أطرافه في حركة ماهرة وهو يضيف:

- ومحسوبك معاها تقولش «رشدي أباطة» في عز مجده

كنت ضحك وأقول:

- وهو رشدي أباطة يجي إيه جنبك يا سيدنا.. ده حتى قصيرا

- بس البنات بتحبه

- البنات برضه بتحب أنور وجدي.. وإنت حلو زيه

- فال الله ولا فالك يا شيخ .. كله إلا ده

- ليه كدا بس يا سيدنا

همس في أذني وكأنه يخشى أن يسمعنا أحد:

- بيني وبينك، «مامونة» قالت لي إنه هيموت قريب في بلاد

الفرنجة، بلاد بره بعيد عنك.

- يا نهار أسود.. أنور وجدي هيموت

- وطي صوتك، «فريد شوقي» هيسمعنا

- طيب و«مامونة» قالت لك إيه تاني؟

- قالت إنه عمل معاهم عهد.. يبقى معاه مليون جنيه قصاد إنهم
ياخدوا روحه.. وامبارح حسابه في البنك بقى مليون جنيه بالمليم

- مليون مليون جنيه حته واحدة

- مالهمش لازمه.. شوفت ميت خد معاه مليم وهو رايح القبر؟

- لسه محصلش

- ولا هيحصل يا مغفل.. ويلا نام بقى علشان ورانا شغل الصبح.

- شغل إيه بس يا سيدنا.. ده إحنا بقالنا أسبوع مشوفناش ميت

يوحد ربنا

- خلاص يا سليمان.. الخير راح.. اسألني أنا عن أيام زمان لما كان

الميتين على قفا مين يشيل.. نام وبكره ربك يفرجها علينا.

- حاضر يا سيدنا

كان العمل مع رضوان الحانوتي صعب جداً خصوصاً إنه رجل

ملتزم بأصول عمل الحانوتية الكبار ولا يحيد عنها أبداً مهما حدث

ويقول دائماً:

- أحوال الميتين مالناش دعوة بيها يا سليمان

كان حريص تمام الحرص على أن ألتزم بارتداء ملابس الشغل،

جلباب قصير لا يتعدى الركبة، وعمامه عبارة عن خرقة ملتفه حول

طاقيه بيضاء، وللحق كنت أبدو وسيماً جداً.. أو هكذا قال لي

رضوان وهو يضحك!

اعتاد أن يستيقظ مبكراً يصلي الفجر في جماعة، ثم يجلس في دكانه، وهو يرتدي عمامة بيضاء ضخمة وجلباب من الصوف الانجليزي الأصلي، وفي يده سبحة كهرمان، ويردد من وقت للآخر:

- ارزقنا يا كريم .. ابعت ياللي بتبعت

كان يقابل أهل الميت وبعد أن يتم الاتفاق على المعلوم، أجري مسرعاً إلى مكتب الصحة لاستخراج تصريح الدفن، وحين يراني الأهالي في الشوارع كانوا يتطيرون مني وأسمعهم يقولون:

- يا ساتر يا رب .. مين اللي مات النهارده

كنت أقول لموظف الصحة كما علمني رضوان الحانوتي:

- المعلم بيصبح عليك

وهكذا يعلم أن هناك ميثاً جديداً، ثم أعطيه ما فيه النصيب من تحت التربييزة لينهي الإجراءات بسرعة، وبعد أن أنتهي أعود لأشارك في حمل التابوت إلى المدفن.. المصيبة أن النعش مصنوع من الخشب والألواح الثقيلة.. والمصيبة الأكبر لو الميت من أصحاب الوزن الثقيل!

يردد «رضوان» بصوته الجهوري وهو يحفز المشيعون:

- وحدوووووه

أقول:

- ووووه يا ضهري

وتمر الأيام على هذا المنوال حتى ظهر الشيخ «عزيز»!

الشيخ عزيز كما علمت من رضوان الحانوتي، كان شابًا يافعًا عندما غادر القرية منذ سنين طويلة جداً، ولا أحد يعلم إلى أين ذهب أو ماذا فعل، ثم عاد وقد أصبح رجلاً مختلفًا، لم يتعرف عليه أحد في البداية، وجهه حفرت فيه السنين تجاعيدها، عيناه حادثان تخفيان سرًا عميقًا. انتشر خبر عودته وتهامس الناس باسمه، لكن أحد لم يجرؤ على مواجهته، سكن في منزل بالقرب من المقابر، بعيداً عن أعين الفضوليين، صوته أجش وكلماته غامضة، الجميع يتسأل أين عاش طوال السنين الماضية، البعض قال إنه عاش في بلد بعيدة تعلم فيها السحر والأسرار الخفية على يد ساحر عظيم، والبعض قال أنه قابله في أحلامه قبل عودته بسنوات.

منذ أسابيع زار الحاج «منصور» أغنى أغنياء القرية منزل الشيخ عزيز وتحدث معه بخصوص ابنه «مرسي».. «مرسي» كان من خيرة شباب البلد، أرسله أبوه ليتعلم في الجامعة ويدرس الحقوق، لكن ذات يوم وبعد صلاة العشاء قال إن عملاق أسود أطول من النخلة خرج عليه ومعه ثلثة من الزنوج، ولم يتركوه حتى ضربة، وبعد هذا اليوم تبدل حاله، طلق التعليم بالثلاثة، وتعلم الجلوس على القهاوي ولعب القمار. الحاج «منصور» قال للشيخ عزيز:

- أنا متأكد إن حد سحر لابني

- ابنك مربوط يا منصور ومعقود عليه عزيمة سحر أسود بفساد الحال والعقل والمال.

لا أحد يعرف ما الذي قام به الشيخ عزيز لكن المهم إن خلال أيام قليلة عاد «مرسي» إلى الجامعة وانصلح حاله تمامًا وتزوج من بنت شيخ القرية في فرح أسطوري غنى فيه «محمد رشدي» ورقصت «نجوى فؤاد»!

بعد أيام شاهد الأهالي الست «زينب» تدخل عند الشيخ عزيز.. صحيح كانت تخفي وجهها بقطعة قماش لكن لا أحد يخطئ مشيتها الثقيلة خصوصًا أنها الخياطة الوحيدة في القرية، وهي التي تفصل للجميع أثوابهم. طلقها زوجها «صبيح»، وتزوج عليها «حفيظة» الماشطة. حاول أولاد الحلال أن يقنعوا «صبيح» برد زينب ولكنه رفض رفضًا مانعًا باتًا مألهم باليأس..

بعد زيارة الست زينب للشيخ عزيز، تناقل الناس خبراً غريبًا، «صبيح» طلق «حفيظة» وعاد إلى زينب، لكن الغرابة لم تنته عند هذا الحد، أصيبت «حفيظة» بمرض عجيب وفارقت الحياة، وانتشر بين من حضروا غسلها همس خفيض، تردد صداه في أرجاء المكان، «اللهم أحسن خاتمتنا». وبدأت الألسن تروي ما رآته الأعين، فقد تغيرت ملامح الفقيدة بشكل مخيف، أصبح جلدها شاحب وجسدها هزيلًا كالمومياء، وكأنها عجوز شارفت على المائة عام، رغم أنها لم تكمل الخامسة والعشرين من عمرها.

ومنذ ذلك الحين أصبحت سيرة ما يفعله الشيخ عزيز على كل لسان، ولم يكذب أهالي القرية خبراً كما جرت العادة في أي قرية، صار الشيخ عزيز حديث الساعة، توافد الناس عليه من كل حذب وصوب، ووقفوا أمامه طوابير طويلة طلبًا للمساعدة، يحدثونه

بمشاكلهم ويطلبون منه فك السحر أو جلب الحبيب أو استرجاع مال مسروق. يبتسم الشيخ عزيز وهو يستمع إليهم بنظرة ثاقبة، يهز رأسه ببطء، ثم يهمس بكلمات غامضة!

كنت أسمع همسًا يتردد عن مبالغ طائلة يتلقاها من الناس، وحتى في الشارع، صار الناس ينحنون له ويقبلون يديه وقدميه بتذلل غريب. أصبح الشيخ عزيز لا يدفع مالا مقابل أي سلعة يشتريها، فالباعة أنفسهم كانوا يرفضون أخذ أي مقابل منه!

مرت الأيام والموضوع أصبح يثير فضولي أكثر فأكثر، كنت في ذلك الوقت لم أتجاوز الثامنة عشر من عمري، شاب يبحث عن إجابات لأسئلة تدور في رأسه. أريد أن أعرف سر هذا الشيخ، وماذا يفعل بالضبط؟

قررت الذهاب إلى منزله واستكشاف الأمر بنفسي، دون أن أعلم أن حياتي سوف تنقلب رأسًا على عقب بعد هذا اليوم!

ذهبت إلى هناك ليلاً بعد أن تأكدت من نوم رضوان الحانوتي واتجهت إلى الجبانة.. عبرت من خلال شوارع الجبانة لاختصار الطريق.. القبور من حولي معظمها مبني من الطين، مكتوب عليها أسماء الموتى، كتبها رضوان بخطه الركيك.

وصلت إلى منزل الشيخ عزيز وطففت حوله مرتين حتى لمحت نافذة صغيرة مفتوحة، كانت مرتفعة بعض الشيء، فقررت أن أتسلق حتى أتمكن من الرؤية من خلالها.. نظرت من النافذة، رأيت غرفة واسعة، جدرانها سوداء اللون، معلقة عليها رؤوس حيوانات محنطة، قطط وكلاب.. الغرفة شبه خالية من الأثاث، في وسطها

كرسي ضخم أمامه موقد فحم ينبعث منه دخان كثيف، ظننته بخوراً للوهلة الأولى، لكن الرائحة كانت مختلفة تمامًا، كريهة ونفاذة، مصدرها على الأرجح موقد الفحم نفسه..

على الكرسي الضخم جلس الشيخ عزيز، مرتديًا جلبابًا أسود قاتمًا، وهو يغمض عينيه كأنه في حالة سرحان أو تأمل.. كان رجلًا نحيلًا وجليظ الجلد وذا وجه حاد.. وفجأة فتح عينيه.. عيناه سوداوين تقريبًا، لكنهما كانتا تبرقان باللون الأصفر.. ثم بدأ يشمر أكمام جلبابه فظهرت يده مليئة وشوم وكتابات مكتوبة بلغة غريبة، لم أفهم منها شيء. أدخل الشيخ يده في جيبه وأخرج قطعة من الطباشير الأبيض، ورسم على الأرض دائرة كبيرة، وبداخلها نجمة خماسية، ثم أضاف رموزاً ودوائر ومثلثات وحروفًا، وبعد أن انتهى توقف في وسط الدائرة التي رسمها!

كنت في غاية الترقب لمعرفة ما سوف يحدث بعد ذلك.. شاهدته وهو يقول بصوت عالٍ قوي ومرعب:..

- أقسمت عليكم بالحضور الآن الآن! أقسمت عليكم بالحضور الآن الآن! أقسمت عليكم بالحضور الآن الآن!

في تلك اللحظة، أحسست بحرارة رهيبة، كأنني أنظر من النافذة إلى الجحيم. ثم تجسد ظل هائل من تحت الأرض وأحاط بالشيخ عزيزًا

فجأة ضربتني موجة هواء شديدة جدًا، كضربة موجهة نحوي دفعتني للخلف فسقطت على ظهري. أخذني الخوف وجريت مسرعاً.. جريت وجريت حتى دخلت المنزل وجلست في فراشي

أرتجف مما حدث ومما رأيت.

في اليوم التالي فوجئت بالشيخ عزيز يزورنا.. فتح رضوان الحانوتي الباب، وبمجرد أن وقعت عيناه على الشيخ، انحنى مقبلًا يده وقال:

- يا أهلا بسيدنا، خطوة عزيزة يا مولانا، اتفضل اتفضل.

دخل رضوان الحانوتي، ودخل الشيخ خلفه. بقيت خارج المنزل، أراقب في صمت.. بعد حوالي عشر دقائق، سمعت صوت الباب يفتح. وخرج الشيخ ثم ناداني رضوان الحانوتي وقال:

- مولانا عايزك تروح تشتغل عنده، هتساعده وتنصف له البيت، وتعيش هناك معاه.

هتفت:

- مستحيل .. أنا مش هشتغل عند الراجل ده.

ولم أكد أكمل جملتي حتى شعرت بصفعة قوية على وجهي وقال رضوان الحانوتي:

- هو إنت هتراجع كلمتي؟ أنا قلت كلمة، إنت من انهاردة ملكش قعدة في البيت عندي، تدخل حالًا تلم هدومك وعلى بيت مولانا!

وخلال كل هذا، ظل الشيخ عزيز واقفًا يبتسم بهدوء وكأن لا شيء يحدث. لم أجد بُدًا من الموافقة. دخلت المنزل ولممت ملابسي في حقيبة ممزقة، رأيت رضوان الحانوتي يقترب مني وهو يتعلم.. قلت

له:

- بس أنا مش عايز أروح معاه، ابقى تعالى خدني من هناك

أجابني بحزن:

- حقك عليا يا سليمان، هو هددني إنه هيحرق مأمونه لو موافقتش، وإنت عارف إني مقدرش أعيش من غيرها، مش عاوزك تزعل مني.

خرجت من منزل رضوان الحانوتي لآخر مرة في حياتي. سرت خلف الشيخ عزيز في صمت حتى وصلنا إلى منزله. فتح الباب ودخل، وترك الباب مفتوحًا. كانت تلك فرصتي للهروب، أن أجري ولا أعود أبدًا، أن أذهب إلى أي مكان آخر، حتى لو غادرت القرية بأكملها. لكن إلى أين أذهب؟

استسلمت ودخلت المنزل.. كان مكون من طابقين، في الطابق الأرضي صالة واسعة تحتوي على أريكة عملاقة، بجوارها باب الغرفة التي يقوم فيها الشيخ بطقوسه الشيطانية.

في إحدى الزوايا، ممر يؤدي إلى مطبخ صغير وحمام، وعلى جانب الممر يوجد سلم يؤدي إلى الطابق العلوي.

وقفت أتأمل تفاصيل المنزل، حين خرج الشيخ عزيز من غرفة وابتسم لي قائلاً:

- اقفل الباب يا سليمان وتعال ورايا

دخل الغرفة، ودخلت خلفه. جلس على كرسيه الذي كنت أراه دائمًا

من النافذة، وجلست القرفصاء على الأرض أمامه، كان الجو بارداً
لكني كنت أتعرق، قال لي بصوت هادئ:

- متخافش مني يا سليمان، أنا معالج، دكتور زي أي دكتور، بس
الدكاترة إلكي إنت تعرفهم بيعالجوا الحاجات إلكي ظاهرة، أنا بعالج
الحاجات إلكي الناس مش شايفها، وزي ما بيقولوا كل شيخ وليه
طريقة. أنا مش خاطفك، ولو عايز تخرج دلوقتي ترجع لسيدك
رضوان روح وقوله الشيخ عزيز رجعني.

- عاوز أعرف إنت ليه اخترتني أنا بالذات؟

- لسببين.. السبب الأول إن زي ما إنت شايف يا سليمان أنا
متجوزتش، والعهد إلكي بيني وبينهم بيمنعني من ده، فأنا مش
عايز العلم إلكي عندي يموت بموتي.. أنا لما شوفتك أول مره وإنت
بتتلصص عليا عرفت إنك التلميذ إلكي ممكن يكمل طريق أستاذة.

- طيب والسبب الثاني؟!

- مش هقدر أتكلم عنه دلوقتي لأنك ببساطة صعب تفهمه حالياً،
على العموم لو عايز ترجع لرضوان الحانوتي وتكمل عمرك معاه
أنا معنديش مشكلة، ومش هتعرض ليك تاني، ولو عايز قوة وعلم
محدث من الإنس ولا الجن إلكي موجودين على وجه الأرض
دلوقتي يعرفه، خليك معايا.

انتهى من كلامه، وأنا لا أصدق ما أسمعته. لم أكن أتخيل أن الشيخ
عزيز الذي كنت أخشاه يتحدث معي الآن بكل هذا الود. هل من
الممكن ان يكون صادقاً فعلاً؟

وكانما قرأ أفكاري أجاب:

- لازم تصدق يا سليمان إن أي إنسان في الدنيا نفسه بذرته ماتموتش، ونفسه اسمه يفضل عايش، وأنا اخترتك علشان توهب الحياة لاسمي ولعلمي. أنا كده خلصت كلامي، من حقا تختار. هديك فرصة لبكره الصبح. أنا هطلع أنا فوق، لو صحيت ولقيتك في البيت، يبقى قررت أحسن قرار في حياتك. ولو مشيت، مش هيحصلك حاجة، ومش هتشوفني تاني.

انتهى من كلامه، وقام من على كرسيه وخرج من الغرفة.. بقيت جالسا في مكاني، لا أتحرك، طوال الليل ظلت أفكاري متضاربة، شيء ما بداخلي يحثني على الهرب، وشيئا آخر يغويني بالبقاء.. وفي النهاية اتخذت القرار..
قررت البقاء.

في الصباح، فتح الشيخ باب الغرفة وحين رأي ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفثيه وقال:
- كنت متأكد إنك هتقعد

هزرت رأسي، وأنا أحاول إقناع نفسي بأنني اخترت الصواب. بعد قليل، طلب مني أن أجلس أمام الباب لاستقبال القادمين، وبالفعل جلست، كانت أول القادمين الست «نبوية»، جاءت وجلست أمام الشيخ عزيز الذي سألها:

- خير يا نبوية

قالت ووجهها في الأرض:

- مش خير يا مولانا، أنا بقالي عشر سنين عندي داء «البرص». جربت كل حاجة يا سيدنا، رحت لدكاترة وجربت وصفات بلدي، وما فيش حاجة نفعت، فقلت أجي أجرب البركة بتاعتنا بعد ما فشلت كل محاولاتي، وأنا تحت أمرك في أي ماديات ليك أو لأسيادنا

هتف الشيخ عزيز:

- الشافي هو الله يا نبوية، إحنا مجرد أسباب ربنا بيسببها علشان يشفي عباده على إيدينا، أنا ما ليش طلبات لا سمح الله، بس الأسياد هي إالي لها طلبات. ارمي بياضك».

أخرجت نبوية رزمة من الأموال وأعطتها له فقال:

- قومي اقفي إدامي يا نبوية

وقفت نبوية في الموضع الذي أشار إليه. أحضر بعض البخور، أو تلك المادة الغريبة التي يلقيها في الموقد. قريبا من فمه وتمتم ببعض الكلمات غير المسموعة، ثم ألقاها في النار. انتشر الدخان في جميع أنحاء الغرفة، ولم أعد أرى شيئا بسبب كثافته.

نهض الشيخ ووقف أمام نبوية، وشمر أكمام جلبابه، وبدأ يتمتم بنفس النبرة غير المسموعة، ثم مد يده اليمنى نحو رأسها، ولمس دماغها بسبابته، فسقطت كما لو أنها ماتت، وبحركة سريعة مد يده خلف ظهرها وأمسك بها وأنزلها على ظهرها في الأرض..

تراجع الشيخ ورفع يده إلى أعلى، وبدأ يتمتم مرة أخرى.. مرت لحظات شعرت أنها سنوات.. وفجأة ظهرت قطة سوداء ووقفت بجانب قدم الشيخ.. لا أعرف هل كانت موجودة في الغرفة من قبل ولم أرها، أم أنها دخلت من مكان ما؟!!

وقفت القطة بجانب قدم الشيخ، وأخذت تصدر مواءًا عاليًا مزعجًا.. وبسرعة مد يده وأمسك بها ثم تناول خنجر منقوش على قبضته كلمات مجهولة.. ذبح القطة في لحظة دون أن يرتجف له جفن وتركها تتلوى وتصرخ بصوت بشع حتى سكنت جثتها..

الشيخ عزيز أمسك بجثة القطة وبدأ يرش الدم المتدفق منها على نبوية الملقاة على الأرض، فاقدة الوعي.. الدم تغلغل في جلبابها، وبدأ جسدها يرتجف بعنف، كأن تياراً كهربائياً يسري فيه.. انقبض جسدها ثم ارتخى، وأطلقت صرخة مدوية هزت جدران المنزل قبل أن يسكن جسدها تمامًا..

شعرت برعب شديد، واندفعت خارج الغرفة وأغمضت عيني.. مضت نصف ساعة لا أعلم ما الذي حدث فيها لكن خرجت نبوية مبتسمة.. وبمجرد أن خرجت سمعت قرعاً قوياً على الباب.. أسرعته وفتحت.. رأيت رجلاً وامرأة يسألان عن الشيخ عزيز.. أدخلتهما عنده وبقيت أنا في الخارج.. لم أغلق الباب تمامًا، بل تركت فتحة صغيرة تمكنني من رؤية وسماع ما سوف يدور.. قال الرجل محدثاً الشيخ عزيز:

- أنا اسمي «حسين».. وبقالي خمس سنين متجوز ومراتي مش بتخلف. وكل لما تحمل، الجنين بينزل ميت. عايز أخلف ومش عارف.

بيقولوا إن مراتي عليها جنية خناقة أطفال اسمها «أم الصبيان»، وهي اللي بتقتل الأطفال في بطنها. مراتي بمجرد ما توصل للشهر السادس في الحمل بتحلم إن في ست جت ومدت إيديها في بطنها، وتاني يوم الصبح نلاقي الجنين ميت. والموضوع ده اتكرر ثلاث مرات. أنا قلت آجي لك يا سيدنا بعد ما فشلت كل محاولاتي وأنا تحت أمرك في أي ماديات ليك

ثم أخرج رزمة نقود وقدمها للشيخ قبل أن يضيف:

- ده حق ربع فدان أرض لسه بايعه من يومين

وضع الشيخ عزيز النقود في جيبه وهو يقول:

- طيب قوم إنت ومراتك اقفوا إدامي

وبالفعل وقف حسين وزوجته، ثم أحضر الشيخ عزيز حزمة بخور، قربها من فمه وهمهم بكلمات مبهمه لا تفهم، ثم ألقاها في النار المشتعلة أمامهم. وسرعان ما انبعث دخان كثيف، غطى الغرفة بأكملها، حتى كدت أفقد الرؤية من كثافته.

شمر الشيخ عزيز عن ساعديه، وبدأ يهمس بصوت غريب ونبرة مجهولة، لم أستطع تمييز كلماتها، ثم مد يده إلى قفص موجود في زاوية الغرفة، وأخرج منه قطعاً أسود ضخماً.

أطلق القط مواءاً حاداً مزعجاً، وفجأة أخرج عزيز سكين حادة وذبحه بضربة واحدة سريعة، لم تكد تستغرق ثانية.

صرخ القط صرخة مدوية، أفضع من مواءه، حتى خمدت حركته تماماً بين يدي الشيخ الذي حمل جثة القط، وبدأ ينثر دمه على

حسين وزوجته فارتعشت أجسادهما، وتشنجت أطرافهما، وصرخا صرخة عظيمة هزت أركان المنزل، ثم سكنت حركتهما فجأة وسقطا على الأرض فاقدى الوعي..

وفي تلك اللحظة، ظهر من العدم الكيان الأسود الذي يشبه الظل، نفس الكيان الذي رأيته من قبل.. ظهر هذه المرة بجانب قدم الزوجة، ورأيت جلبابها يرتفع ببطء عن ساقها، والظل يدخل بينهما كأنه يضاجعها..

لم أستطع تمالك نفسي من الرعب فصرخت.. التفت الشيخ عزيز نحوي في غضب، بينما اختفى الكيان الأسود في اللحظة ذاتها ولم يعد له وجود.

استمر اليوم على هذا الحال..

لم أكن بحاجة إلى كثير من الذكاء لأفهم أن الشيخ عزيز يتعامل مع الجن، وربما مع أسوأ أنواع الجن..

كنت أستقبل الزبائن وأكتفي بالمراقبة أو المشاهدة.. وتدرجيًا لم يعد شيء يدهشني.. نفس الطقوس ونفس الطلاسم.. أشخاص يأتون ويذهبون.. مرضى ومصابين وممسوسين.. أغنياء وفقراء.. ولاد أكابر وومتعلمين وجهلاء.. كل أطراف المجتمع كانت تأتي وتخرج.. بداخل الجميع هاجس خوف من السحر والحسد ووقف الحال.

على نهاية اليوم جاءنا غفير العمدة وطلبنا لأمر هام.. ذهبنا إلى

هناك ووجدنا في استقبالنا العمدة شخصيًا. تحدث معنا بخصوص ابنته «أمينة»، وبمجرد أن دخلنا عليها بدأت تترجف وتصرخ بطريقة بشعة، حاول أبوها أن يسيطر عليها لكن الشيخ عزيز قال في صرامة:

- محدش يلمسها.

وبالفعل تركوها ثم اقترب منها الشيخ وألقى عليها ماء من زجاجة صغيره يحملها فهدأت فجاة وتخسبت تماماً في مكانها مثل تمثال حجري. جلسنا وبدأ العمدة يتكلم ويقول:

- بنتي «أمينة» يا سيدنا اللي محلتناش غيرها عدت التلاتين و كل أما يجيلها عريس ترفضه وبقت طول الوقت قاعدة لوحدها في الضلمه. الناس بيقولوا إن معمول لها عمل.. ورحنا لكام حد كل أما يعالجها تقعد شهر و يرجع ومفيش أى فايده.

حدق الشيخ عزيز في وجه العمده وسأله:

- وإيه تاني؟ قوللي على اللي حصل إمبرح.. متخبيش عني حاجة يا عمدة.

شحب وجع العمدة وهو يقول:

- وهو إنت عرفت؟

اتسعت ابتسامه الشيخ عزيز حتى شملت وجهه كله وهو يقول:

- أنا مفيش حاجة بتستخبي عني

ارتجف فم العمدة كأنه يجرب الكلمات قبل أن ينطقها ثم قال:

- إمبراح أنا حلمت إني كنت في مكان مظلم.. مقابر.. وفي زاي شبورة في المكان ودخان كثيف حاجب الرؤية.. وعلى بعد خطوات مني.. لمحت راجل ماشي بعيد.. ومغطي جسمه ورأسه بعبايه لونها أسود.. جيت أتكلم وأنده عليه.. معرفتش.. حسيت بشلل في لساني.. مشيت وراه علشان ألحقه.. لكنه اختفى بعدها وراء طريح من الأطرحة المرصوفة حواليا.. رحت بسرعة ناحية الطريح ده.. وأول ما وصلت لهنالك وشوفته وقعت على الأرض من الصدمة.. شوفت مخلوق على هيئة «تيس» عينه كلها شر.. جسمه أسود وضخم وعيونه زي ماتكون منورة لدرجة إني مكنتش قادر أبص فيهم.. وقرونه كبيرة.. وللحظات وهو بيقرب مني.. حسيت وكأن قدامي الشيطان نفسه.. الشيطان ومتجسد في هيئة تيس، وصوته بيهمس في ودني باسم بنتي «أمينة».

صمت العمدة وخلع عمامته كأنه لا يتحملها.. كان رأسه عارياً يلمع بالعرق.. هتف به الشيخ عزيز بانفعال:

- وبعدين؟

قال العمدة والعمامة تضطرب في يده، وأصابعه تتجاذبها بلا وعي:
- صحيت على صوت صرخة لاقيت نفسي في أوضتي وفهمت إن ده مجرد كابوس.. لكن قبل ما أستعيذ بالله سمعت صوت الصرخة اللي صحتني اتكررت تاني بس المره دي عرفت إنها صرخة أمينة بنتي.. قمت بسرعة وجريت عليها.. لقيت باب أوضتها مقفول من جوه.. فضلت أخبط بكل عنف وهي فضلت تصرخ تصرخ فضلت أخبط بعنف وحاولت أكسر الباب لحد ما اتفتح.. دخلت لكن حسيت

بحد بيتحرك جمبي بصيت ولاقيت أمينة واقفة جمبي مرعوبة وخايفة، وبتبص علي حاجة قدامها برعب، والحاجة دي كانت التيس الملعون اللي شوفته في الحلم بس المره دي بحق وحقيقي.. فضلت واقف متردد وخايف مش عارف أعمل إيه.. بس لاقيته بيقرب من أمينة.. محستش بنفسي غير وأنا بجري وبهرب لبره.

غمغم الشيخ عزيز:

- بنتك «أمينة» مش معمول لها عمل زي ما الشيوخ الجاهلين قالوا لك، لكن عليها جن عاشق من قبيله الميامين اسمه «زفران».. جن ملعون متجوز بنتك وعایش معاها عيشة الزوج والزوجه.

في تلك اللحظة تحركت رأس «أمينة» ثم راحت تضحك بهيستريا وكأن شياطين العالم احتلت جسدها لدرجه أننى أغمضت عيني من الخوف. وبسرعه تحرك الشيخ عزيز ووضع يده فوق جبينها وبدأ يقرأ عليها أدعية وطلاسم معينة!

ارتعشت أمينة وأخذت ترتجف وتتألم وتزوم كأنها تتعرض للاختناق حتى اعتقدت إنها لن تتحمل أكثر من ذلك وستموت أو سينفجر رأسها لكنها فجأة صرخت صرخة رهيبه ووقعت على الأرض فاقدة الوعي.. اندفع نحوها والدها ليرفعها لكن الشيخ عزيز أشار له في صرامه:

- متدخلش

شاهدت أمينة تزحف على ظهرها مثل العبان وهى مغمضة العينين ورغوة بيضاء تخرج من بين شفتيها. كنت متأكد أنها فاقدة

الوعي وأن الشيء الذي يسكن فيها هو من يتحرك الآن، يتحرك حركة يائسة أقرب لشخص يموت أو يلفظ أنفاسه. اقترب منها الشيخ عزيز، وقال للجن الذي عليها:

- هتهرب تروح فين يا ملعون.. إنت محبوس دلوقتي جوه جسمها.

قام الشيخ «عزيز» بحرق الجن «زفران».. تفاصيل ما حدث لا داعي لذكره.. فقط كل ما يمكنني قوله هو إنه كان مرعب جداً ممتلئ بالطلاسم والصراخ والضرب والدم.. طوال الليل ظل هذا المشهد بكل تفاصيله لا يفارقني والتصق بذاكرتي كظل عنيد..

في الأيام التالية كنت أحاول أن أختبئ في أي ركن مظلم من المنزل، أحاول أن أصبح جزءاً من ظلمة الجدران الباهتة، كي لا تلاحظني عيون الشيخ، الذي بدا لي ككائن من عالم آخر، يتقن لغة الجن ويسخرهم لخدمته. كان ينطق تعاويذ غريبة بلغة قديمة مبهمه، لا أفهم منها حرفاً واحداً، لكنها كانت تسبب رجفة باردة في عمودي الفقري، كأن أصواتاً خفية تصاحبها، وتحاصرني في دائرة من الخوف..

في الليل كانت الشموع تلقي بظلالها المتراقصة على الجدران، وكأنها أرواح معذبة تحاول الهروب من أسرها، بينما رائحة الأعشاب الغريبة التي تحرق في المبخرة تخنقني، وتثير في صدري غثيائاً لا أستطيع التغلب عليه..

أحياناً أسمع أصواتاً تحيط بنا من كل حدبٍ وصوب، همسات

مبهمة، فحيخ كفحيح الأفاعي، صراخ بعيد يمزق سكون الليل..
أصوات تمير الرعب في نفسي، تقنعني أننا لسنا وحدنا في المنزل..

أحيانًا أخرى أشعر بأنفاس ساخنة تمر قريبًا مني، وكأن كائن غير مرئي يتحسس وجودي، يراقبني بعيون متوهجة في الظلام. أوقات كثيرة تروادني فكرة الهروب من الشيخ عزيز، ومن تلك الأصوات التي تطاردني، لكنني أعلم أن الخوف لا يجب أن يظهر على وجهي، فالشيخ عزيز لا يرحم، لا يتردد في معاقبتي!

- الجن قوة يا سليمان، قوة لازم نستغلها عشان نوصل للي عاوزينه.. الدنيا مليانة بشر أغبياء جاهزين يصدقوا أي شيء، جاهزين يدفعوا أي تمن عشان يحلوا مشاكلهم.

يقول لي ذلك الشيخ عزيز بصوت فيه شيء من الزهو والغرور، وكان بالفعل على حق، ثروته تزداد يومًا بعد يوم، والناس يتوافدون عليه من كل حدب وصوب، يتوسلون إليه أن يحل مشاكلهم، يلبي رغباتهم، لا يدركون أنهم بذلك يقدمون له أرواحهم رهينة، يغذون وحش الطمع الذي يملكه..

شهور مرت وأنا على هذا الحال، أدركت بأنني غارق في وحلٍ لا قاع له، لا أعرف كيف أهرب من هذا العالم المظلم الذي أصبحت جزءًا منه، خائف من الشيخ عزيز، وخائف من الجن الذين يسخرهم لخدمته، لا أعرف مصيري؟ كل ما أعرفه أنني أعيش كابوس لا ينتهي. ثم ذات يوم فوجئت به يقول لي:

- إنت من انهاردة هتبتدي ترتقي إنك تبقى المساعد بتاعي يا سليمان.

هتفت مذعوراً:

- انهارده.. انهارده؟!!

هز رأسه بالإيجاب وقال:

- أيوه.. مراسم الارتقاء هتم على أربع مراحل، كل مرحلة منهم هتترفع درجة عن البشر. عايزك قوي، وقلبك قوي، مش عايزك تخاف.. فكر دايقاً في القوة إلی هتحصل عليها والعلم إلی هتتعلمه.. مستعد؟

أجبت وأنا أحاول التماسك:

- مستعد.

(المرحلة الأولى)

قال الشيخ عزيز:

- الإنسان يا سليمان مش بيقدر يشوف الكائنات التانيه، زي الجن والشياطين والملايكة، نتيجة الغشاء إلهي ربنا حطه على عين البشر، أنا هكشف لك الغشاء ده علشان لازم تشوف الكائنات دي وتعرف تتعامل معاهم.

انتهى الشيخ عزيز من كلامه، ثم أشعل شمعة حمراء وطلب مني أن أخلع كل ملابسي.. وبعد أن فعلت، أخرج قلم أحمر وقام بكتابة طلسم على بطني وظهري وأعضائي الحساسة.. أشعل ثلاث شمعات حمراء ورسم على الأرض مربع مقسوم لتسع خانات بكل خانة رقم معين.. أحاط المربع بدائرة وطلب مني أن أجلس في منتصفها.. ثم بدأ يقرأ طلسم معين وراح يردد..

شعرت بألم يضرب جسدي كله وخصوصًا في عيني، ألم شديد ينخر فيهما..

بدأت أرتعد وقاومت البكاء..

صرخت صرخات متتالية..

الشيخ عزيز مستمر في ترديد الطلسم..

بدأت أرى خيالات سوداء كثيرة تتحرك في كل مكان بعشوائية مطلقة، وجسدي يرتجف في نوبة تشنجية..

فجأة استطالت الحوائط من حولي ثم عادت وانضغطت وسقطت فوق رأسي.. اختفى الألم لكن أظلمت الدنيا تمامًا من حولي.. لم أفقد الوعي.. أنا فقدت النظر.. كل شيء أسود تمامًا.. ظلام رهيب لا بصيص من الضوء.. وتدرجيًا تحول الأسود من حولي إلى رمادي.. وبدأت أرى.. رأيت الشيخ عزيز يقف بقربي وبجواره ما يبدو أنه رجل غريب.. ركزت النظر، وإذا به كائن يشبه البشر، لكن أطول منا بكثير، جسده مغطى بالشعر، وله قرنان قصيران.. صرخت دون أن أدري:

- إيبه ده ؟

- ما تخفش ، ده «رجمان» الخادم بتاعي وتابعي المخلص ، متقلقش مع الوقت هتتعود على رؤية الحاجات دي عادي.

قالها الشيخ عزيز في خبت، ثم خرج من الغرفة، وتبعه «رجمان»! بعد قليل ظهرت كائنات عديدة في الغرفة، كائنات تتحرك بعشوائية مريبة، أشكالهم غريبة، منهم الطويل والقصير، ومنهم من جسده مغطى بالشعر، وآخرين بلا شعر تمامًا. كانوا يتحركون وينظرون إلي، ثم يعودون لينظروا لبعضهم البعض ويتهامسون بكلمات لا أفهمها، قبل أن يكملوا سيرهم مرة أخرى. لم يفعلوا بي أي شيء سوى أنهم ظلوا يمشون ويدورون من حولي طيلة الليل.

(المرحلة الثانية)

قال الشيخ عزيز:

- السحريا سليمان جزء من العلوم الروحانية وهو عبارة عن طقوس وكلام وطلاسم بتتقال على الجن علشان يحضر وينفذ المطلوب، وأول شيء هتتعلمه هو اللغة السريانية ودي اللغة اللي بيتقال بيها الطلاسم والعزائم، وكان سيدنا سليمان بيكلم بيها الجن، وبعد لما هتتعلمها هعلمك بقية العلوم الروحانية.

- لكن...

- مفيش لكن.. عليك إنك تسمع وتطيع.

حركت رأسي حركة عشوائية، وأجبت بصوت مرتعش:

- حاضر.. السمع والطاعة.. السمع والطاعة

وبالفعل بدأ الشيخ عزيز بتعليمي اللغة السريانية القديمة، كنت أستوعب المعلومات بسرعة فائقة، وعندما أبدأ في تعلم شيء جديد لا أحتاج سوى وقت قليل جداً لإتقانه، كأن هناك جزء من عقلي يعمل بشكل مختلف، يستوعب ويفهم بسرعة لا تصدق.. سألت الشيخ عزيز عن السر فأجاب قائلاً:

أوما الشيخ عزيز برأسه مُتفهماً وغمغم:

- الإنسان لما يتشال من على عينه الغشاء بيعرف يستخدم معظم طاقه مخه وبالتالي المعلومة مجرد ما عينه تقرأها مبتخرجش من عقله ثاني.

تعلمت اللغة السريانية في أسبوع واحد فقط.. وبعد أن تعلمتها، أصبحت أستطيع قراءة أي شيء مكتوب بها.. على سبيل المثال الكلام المكتوب على خنجر الشيخ عزيز، كان يقول «بحق الذين

اتبعوا ما تلت الشياطين على ملك سليمان»، والكلام المكتوب على ذراعه كان يقول: «أجب يا رجمان بحق النور، ونور النور».

بقية الشهر تعلمت العلوم الروحانية، علم «الجفر»، علم «الأوقاف»، علم «السيميا»، وقرأت كتب كثيرة مثل كتاب «شمس المعارف الكبرى» وكتاب «العزيف»، ومن خلال تعمقي في القراءة والعلوم استطعت معرفة السبب الثاني الذي اختارني الشيخ عزيز من أجله.. السبب هو أنني انسان زوهري(1)

(المرحلة الثالثة)

قال الشيخ عزيز:

- قدامك يا سليمان أربعين يوم خلوة.. أربعين يوم هتتعزل فيهم عن البشر.. هتعيش في الضلمة.. تسبح باسم الجن والشياطين في أوقات معينة.. أوقات محسوبه بدقة شديدة.

وافقت بلا نقاش.. ناولني كراسة فيها مجموعه من التعليمات لابد أن أنفذها حرفيًا بلا زيادة أو نقصان ثم قال في هدوء:

- هتطلع الدور اللي فوق.. هقفل عليك الأوضة هناك.. ومش هفتح ليك غير بعد أربعين يوم.

وبالفعل صعدت إلى الطابق العلوي وأدخلني الشيخ عزيز إلى غرفة واسعة وأعطاني كرتونة بها بعض الأغذية الضرورية وزجاجات ماء الشرب وقال:

- ممنوع الملح

- ليه؟

- علشان الملح بيأذيهم

ثم عاد يكرر على مسامعي التعليمات وبعد أن تاكد أنني استوعبتها تمامًا صافحني وأغلق الباب.. صارت الغرفة مظلمة تمامًا.. الغريب أنني كنت أستطيع الرؤية خلال الظلام.. صحيح أن الرؤية رمادية لكنني كنت قادر على تمييز الأشياء..

بدأت في تنفيذ الخطوات والطقوس.. كانت أول خطوة هي حرق المصحف الشريف.. وبعد أن فعلت ذلك رسمت على الأرض نجمة خماسية كبيرة لكي أنام في منتصفها كل ليلة..

أمضيت بقية الأيام في إحراق البخور في ساعات معينة والقاء تعاويذ وطلاسم جهنمية لاستدعاء الجن والتقرب إليهم.. للتقرب من الجن شروط أهمها النجاسة وعدم الاغتسال وشرب الدم الفاسد والاستنجاء باللبن..

ظللت أفعل ذلك طيلة الأربعين يومًا، شعرت خلالهم أن هناك تغييرات طرأت على جسدي، أصبحت أكثر طولًا ونحافة، وفي الليلة الأربعين سمعت صوت خشن يهمس في رأسي:

- قد أجيبك دعوتك يا ابن آدم.

(المرحلة الرابعة)

قال الشيخ عزيز:

- مفضلش ليك غير مرحلة واحده بس يا سليمان

قلت في حماسة:

- وأنا مستعد

ابتسم الشيخ عزيز ابتسامه خفيفة كأنما أسعده حماسي ثم قال
في رصانة:

- المرحلة الأخيره من الارتقاء إنك تقابله

قلت في حيرة:

- أقابل مين؟

حافظ على ابتسامته الهادئه وهو يقول:

- سيدي وسيدك «ظام» واحد من الجن العصاه اللي اتمردوا على
النبي سليمان. أنا عامل مع «ظام» عهد، المساعدة مقابل القرابين
إللي بقدمها ليه، والعهد بيني وبينه أني لو هختار وريث ليا لازم هو
إللي يوافق عليه علشان كده إنت هتروح له

تضاعفت حيرتي وقلت:

- وأنا هروح له فين؟

اعتدل الشيخ عزيز في مكانه وقال في شيء من الحدة:

- إنت هتقابله تحت الأرض و...

قاطعته في توتر:

- يعني إيه؟ يعني أنا هنزل تحت الأرض وأقابل ملك من ملوك

الجن

- تمام

قالها ثم نهض وتحرك خارجا من الغرفة.. خرجت خلفه ونزلنا إلى الطابق السفلي، ودخلنا إلى الغرفة التي يمارس فيها الشيخ عزيز طقوسه.. أحضر زجاجة فيها مادة سوداء رائحتها كريهة للغاية..

طلب مني أن أخلع كل ملابسي..

حين فعلت أخذ ريشة طائر كبيرة وغمسها في تلك المادة السوداء، وبدأ يكتب على يدي اليسرى حتى كتفي، وبعد أن انتهى من يدي اليسرى، كتب على يدي اليمنى، ثم كتب على قدمي اليسرى حتى الركبة نفس الكلام، وكذلك على قدمي اليمنى.. ثم نظر وقال لي:

- يلا انزل

- أنزل فين؟

لم أكد أقولها حتى فوجئت بالأرض تنشق تحت قدمي وتظهر فتحة مربعة تتسع لشخص واحد.. أشار لي الشيخ عزيز:

- انزل هنا

ثم أعطاني شمعة سوداء وأضاف:

- ولعها وإنك تحت

اتجهت نحو الفتحة وأنا أحاول السيطرة على خوفي.. كنت أسير عارياً تماماً.. رأيت الظلام الدامس في الأسفل.. أشعلت الشمعة وبدأت في النزول.. نزلت تحت الأرض ورغم أنني فقط سرت مسافة

قليلة لكن وجدت بيني وبين الفتحة التي دخلت منها مسافة طويلة. أشعلت الشمعة وفجأة سمعت صوت الفتحة وهي تغلق خلفي، انتفضت، وكاد قلبي يتوقف من الرعب. وجدت أن جسدي قد تحرر، وأصبحت أتحكم فيه، رحمت أصرخ وأنادي على الشيخ عزيز مراراً وتكراراً، لكن دون جدوى.

لا بد أنني في جحر من جحور الشياطين والأبالسة. استسلمت للأمر الواقع، وجلست على الأرض، وضممت ركبتي إلى صدري والشمعة في يدي.. بدأت أسمع أصواتاً قادمة من كل اتجاه، أصوات صراخ أناس تعذب كأنها قادمة من قلب جهنم، أصوات ضحك، أصوات همسات. كل هذا وأنا أرتجف ولا أعرف ماذا أفعل!

شعرت بحركة حولي، فوجهت الشمعة نحو ذلك الاتجاه.. رأيت كائنات قصيرة تشبه القروذ، مساخيط من الجن ليس لها شعر على الإطلاق، ولها أذرع طويلة تصل إلى الأرض، وعيناها حمراء كلون الدم، وأسنانها حادة كالإبر.

تحركت المساخيط بعشوائية في الأرجاء، وأنا جالس مكاني، أرتعد رعباً في داخلي، لكنني عاجز عن الحركة، وبعد قليل سمعت صوت الشيخ عزيز وهو يردد من الخارج:

- الآن .. الآن

توقفت جميع المساخيط دفعة واحدة ونظرت إلي، بنظرات مليئة بالشر. ثم تجمعت في منتصف المكان، وصنعت دائرة، وبدأت تدور في حركة دائرية عكس اتجاه عقارب الساعة، وهي تردد بصوت واحد منتظم أشبه بالغناء لكنه ليس غناء بالمعنى الحقيقي، بل كان

أقرب إلى الترنيم والتسابيح. سمعت صوت الشيخ عزيز قادمًا من الخارج:

- خادمك المطيع بانتظارك. عبدك وخادمك ينتظر منك أن تراه بعين الشفقة، عبدك وخادمك ينتظر منك أن ترضى عنه
قالت المساخيط:

- لك منا الأمن والأمان وعليك الأمن والأمان.. لك منا السمع والطاعة وعليك السمع والطاعة.. لك منا العهد وعليك العهد.. لك منا العهد وعليك العهد.
وجدت نفسي أقول:

- أقسم بحق ملوك الجن السفلى أن أسمع وأطيع.. أقسم بحق ملوك الجن السفلى أن أسمع وأطيع.. أقسم بحق ملوك الجن السفلى أن أسمع وأطيع.

وفجأة ساد صمت رهيب، وسمعت صوت صرخة مرعبة وعالية، ثم رأيت كتلة دخان رمادية تظهر من العدم ثم تجمع الدخان وبدأ يتشكل على هيئة كيانٍ أسود طويلٍ جداً، له قرنان طويلان، وشعرٌ كثيفٌ جداً فوق كتفيه، بينما باقي جسده خاليًا من الشعر تمامًا، عيناه سوداوان تمامًا، في كل كف من يديه ثلاثة أصابع، وأظافره طويلة جداً. تجسد أمامي «ظام» بتلك الهيئة المرعبة، وتحدثت معي بصوت خشن مرعب، صوت يكسر الصخر وقال:

- اسجد يا سليمان

ما حدث بعد ذلك بيني وبين «ظام» هو سر أحب أن أحتفظ به
لنفسي.. يكفي أن أذكر أنني خرجت من تحت الأرض شخصًا مختلفًا
تمامًا عن الذي دخل.. دخلت إنسانًا، وخرجت كائنًا بلا مشاعر وبلا
قلب.. تجردت من عباءة الإنسانية، وأصبحت شيئًا لا يحمل في
داخله سوى القوة.. نعم.. أنا أعترف بذلك.

قال لي الشيخ عزيز وعيناه السوداوان تلمعان فخراً:

- خلاص كدا يا سليمان.. أسيادنا من الجن رضوا عنك والعهد تم
بينك وبينهم.

ترددت للحظة قبل أن أقول في خفوت:

- بس كل حاجة أنا عملتها كانت كفر.. أنا خايف من عذاب ربنا

ارتفع حاجباه بحركة حادة وقال:

- مين قال كدا بس!

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وخبیئة وسألني:

- تفتكر يا سليمان مين اللي كاتب مصير البشر؟

قلت بسرعه:

- ربنا طبعًا

قال في شيء من الصرامة:

- ده صحيح.. ربنا كتب لكل واحد فينا مصيره.. كل واحد فينا

اتكتب عليه هيبقى مين، وابن مين، وهيمر بإيه، ويتصرف إزاي.

إحنا مش بنختار، إحنا ماشين حسب الخطة اللي رسمها لينا القدر، مصيرنا اتكتب من زمان عند الذات العليا، لازم تظمن وتتعايش، لأن في النهاية مش هتقدر هتغير قدرك.

ومنذ ذلك اليوم، لم أفارق الشيخ عزيز قط، سافرت معه إلى بلادٍ ودولٍ كثيرة. رأيتُه يتعامل مع الجن والشياطين، وتعلمت منه كل الأسرار الخفية، وأخذت العهد والأمان من الجن، وتعلمت الطريقة السفلية في التحضير، وهي طريقة «الشبشة»، شبشة «شمروش»، وشبشة الملك «دنهش»، وشبشة «أبي ديجانة!

ومرت السنين، وأنا مع الشيخ عزيز، وصارت الأموال تتدفق علينا بصورة لم أكن أتخيلها. كنت أخرب البيوت، وأفرق بين الأحبة، أصيب بالمرض والتفريق والموت والانتقام. سخرت الجن لكل ما يغضب الله، وفعلت أشياء لا يصدقها عقل إنسان. أتقنت تحضير الجن وتسليطه على الناس، وأصبح إلحاق الأذى بهم أمراً طبيعياً بالنسبة لي. وفي الوقت ذاته، كان الناس يأتون إلي لفك الأعمال التي سلطتها عليهم..

خلال فترة عملي في الدجل والسحر، جاءني كل أنواع البشر. جاءني الفقير والغني، العجوز والشاب، المثقف والجاهل، جاءني من لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وجاءني أيضاً أساتذة الجامعة، ورجال الأعمال، والشخصيات المشهورة.. بل وظهرت أكثر من مرة على شاشة التلفاز في أحد البرامج المشهورة جداً، وكانت حلقاتي تحقق نسب مشاهدة عالية للغاية..

كنت أحاول الظهور أمام الناس بمظهر الرجل الصالح، وأقوم

بأعمالٍ خيريةٍ كي أخدمهم ويعتقون بي..

في المسجد كنت أدخل بدون وضوء، وأمثل الصلاة كي يصفني
الناس بالشيخ..

كل الحكايات التي كنت أسمعها عن عقاب من يمارس السحر لم
تحدث معي، بالعكس ازدادت أموري تحسناً، صحتي أصبحت أفضل،
والحياة تسير على خير ما يرام!

للأسف يا من تقرأ كلماتي لن تجد هنا أن الخير انتصر والشر قد
انهزم.. العكس هو ما حدث.. معظم الأشخاص الطيبون في قصتي
ماتوا بطريقة بائسة.. لم تصحبهم موسيقى حزينة أو يبكي عليهم
العالم.. تم دفنهم بسرعة واتفسوا بسرعه أكبر!

- ااهـــ

كانت تلك الصرخة هي التي أيقظتني في الليل!
اندفعت مسرعاً إلى غرفة الشيخ عزيز.. وجدته يرتجف ويصرخ
في ارتياح ويخدش في الأرض بأظافره حتى تكسرت.

- شيخ عزيز.. إنت كويس؟

نظر لي بوجه شاحب وعيون مليئة بالدم وقال:

- مش عارف

ملت نحوه وأنا أسأله:

- إنت بتعمل إيه؟

نظر وتلتفت حول نفسه في خوف ثم قال:

- بعمل حفرة أستخبي فيها

- تستخبي من إيه بالضبط؟

هتف في انفعال وهو يكاد يبكي:

- اسمعني كويس يا سليمان.. أنا حلمت إني ميت ومحطوط فوق خشبة الغسل.. وبعدين جه المغسل وبدأ يغلسني ويكفني.. حاولت أن اصرخ فيه وأقول إني عايش لكني مقدرتش.. الناس حطوني جوه التابوت وشالوني فوق أكتافهم.. طول الطريق كنت شايف مخلوقات مرعبة ماشية في وسط الناس، دول الجن بيشيعونني يا سليمان، وأول لما وصلنا المقابر دفنوني جوه قبر أسود كله نار وحيطانه مولعه، أنا خايف أوي يا سليمان وحاسس إني هموت موتة بشعة.

لأول مره أراه في تلك الحالة والانهيار.. ساعدته على النهوض وأنا أقول:

- متخافش يا شيخ عزيز.. إنت كويس وهتعيش كتير.. كل دي أضغاث أحلام.

جلس على سريريه وهو يرتجف ثم نظر لي نظرة توصل وقال:

- خليك جنب مني يا سليمان

حاولت أن أتماسك وقلت:

- أنا معاك.. مش هسيبك

وهكذا ظلت بجواره طيلة الليل.. كانت ليلة عصبية.. شيء ما داخلي ظل يخبرني أن نهاية الشيخ عزيز قد أوشكت!
في الصباح اكتشفت أنني قد نمت دون أن أشعر.. نهضت ووجدت الشيخ عزيز يوليني ظهره ويجلس على طرف الفراش.. اقتربت منه وأنا أقول:

- عامل إيه انهارده

وبمجرد أن لمستته سقط على وجهه كأنه كتلة متحجرة!
تراجعت في خوف وصدمة.. اكتشفت إنه ميت.. وجهه أزرق تمامًا.. عيناه حاجظتان.. فمه مفتوح ومتوقف على صرخة مبتورة.. وعلى ملامحه علامات فزع رهيبه!

لن أنسى أبداً ملامح الشيخ عزيز في هذا اليوم.. ما زلت أتذكر تعليقات الناس الذين شاركوا في تغسيل جثمانه:

- يا ستار يارب.. هو الراجل ده شاف إيه قبل ما يموت؟

- أمال هو متخشب كده ليه..؟ هو ميت بقاله أسبوع..؟!

- كل ده بسبب عمله الأسود

كانت هذه هي نهاية الشيخ عزيز.. الرجل الذي جاب الدنيا طولاً وعرضاً.. الرجل الذي انحنت له الملوك.. الرجل الذي سخر الجن والشياطين وناطح إبليس نفسه!

مات الشيخ عزيز وبدات أفكار..

هل تكون هذه هي نهايتي أيضًا؟! وماذا عن قصة المصير وإن قدرنا قد كتب علينا قبل أن نولد، لماذا يعاقبني الله وقد خلقني هكذا، يقولون إن الإنسان بعد أن تنفخ فيه الروح يكتب له عمره ورزقه وشقي أم سعيد، أين حرية الاختيار في كل هذا؟

التفكير يكاد أن يشطرني نصفين!

وفي يوم شاهدت أشع كوابيس حياتي.. رأيت نفسي وقد مت وجاء الرجال ووضعوني في التابوت، تابوت ضيق أصغر وأقصر من جسدي، صاح أحد الرجال وطلب أن يقطعوا ساقي حتى لا تخرج، قام أحدهم بمنى ساقي وحين فشل كسرها نصفين ووضعها بجانب كتفي!

تم دفني سريعًا، وداخل القبر اكتشفت إنه أكرر إظلامًا مما كنت أتخيل، وفي الخارج سمعت الرجال يباركون ويهنئون أنفسهم على موتي ورحيلي عن الدنيا:

- كان مؤذي.. الحمد لله ربنا خلصنا منه

آه لو أستطيع الخروج لهم الآن.. صرخت:

- رب ارجعون.. رب ارجعون

فجأة ظهر لي ما يبدو أنهم ملاكان وطلبوا مني أن أصلي. كيف أصلي، لقد نسيتها تقريبًا، حاولت التحجج بعدم وجود مياة، أحضروا لي إناء ماء مغلي كأنه قادم من الجحيم نفسه وطلبوا مني أن أبدا

الوضوء حالاً.. لم أستطع أن ألمس الماء.. ظهرت يد عملاقة وقبل أن أفهم من أين خرجت، حملتني وألقطني في الماء الملتهب..
صرخت..

استيقظت وأنا أشهق من الرعب..

اليوم التالي رأيت الشيخ عزيز يغتسل بالماء المغلي وهو يصرخ ويقول لي:

- توب لربك يا سليمان ومتخليش مصيرك يبقا زي مصيري، اهرب يا سليمان وتوب لربك.

لأيام ظل ذلك الكابوس يطاردني بلا هوادة..

وأخيراً قررت..

تركت الدجل والشعوذة..

لم يتركني «ظام» بسهولة لكن في النهاية انتصرت عليه بفضل الله..

زهدت الدنيا تماماً واكتفيت بالعبادة والدعاء.. زرت الكعبة وبكيت أمام قبر النبي الكريم.. تبرعت بمعظم أموالني للفقراء والمساكين.. أصبح اسمي سليمان التائب.. ارتديت عمامة خضراء وبدأت أشارك في حضرة (2) رضوان الحانوتي الذي ترك الحانوتية وتفرغ هو أيضاً للعبادة، أخبرني وهو يبكي أن مأمونة هجرته.

في منزل رضوان كنا نجتمع عشرة رجال أو أكثر، نجلس على الحصير ونستغرق في ذكر الله، وعلى نهاية الجلسة ترتفع أصوتنا

في البكاء طلبًا للشفاعة والعتو، ثم تندمج أصواتنا جميعًا في نغمه
مبحوحه ونحن نتمايل ونقول:

- الله، الله، الله

(1)- الإنسان الزوهري، أو الزهري، إنسان مميز بعلامات في يده ورأسه ولسانه وعينه، ويقال أنه من ولد الجن، يضعونه مكان ولد الإنسان فور ولادته، له دم مميز عن غيره وشق في السان، سمي بالزوهري نسبة لكتاب زوهار وهو من أهم كتب السحر اليهودي الكابالا، وفيه تحدث بأسهاب عن صفات هذا الإنسان الذي يشكل تهديدًا للشياطين والجن لطاقته الروحانية العالية، وأحيانًا يقوم الدجالين بذبحه وتقديمه قرابين للجن.

(2)- الحضرة هي اسم يطلق على نوع من الذكر الجماعي تقوم به الطوائف الصوفية، وهي عبارة عن ترديد أورد وأذكار وصلوات على النبي وآل بيته، وطلب للمدد منهم، يرددتها أتباع الصوفية في حلقات دائرية، يقف بوسطها المداح، وتعد بليلة الإثنين والخميس من كل أسبوع.

مرت سنوات واعتقدت أنني سوف أموت في سلام لكن اكتشفت
أن الحياة لها رأي آخر..

ذات يوم جاء رجل غريب إلى قريتنا..

رجل اسمه «البغدادي»!

جاء إلينا بعد أن مر على قرى عديدة قبل أن يستقر به المقام
عندنا. وقد ذكر أهل البيوت التي استضافته أنه يبحث عن شيء
ما، بحث عنه في أراضي وبلاد كثيرة، ورفض في كل مرة أن يعلن
ماهيته. بعض الناس زعموا أنها آثار من أيام الفراعنة، وقال آخرون
إنه يطلب كنزاً من بقايا الحروب، وذهب بعضهم إلى القول إنه جاء
ليتعبد في العزلة. لم يعرف أحد حقيقة ما كان البغدادي يبحث عنه،
لكنه قرر أخيراً أن يستقر عندنا، بنى بيتاً فوق الجبل، بيت صغير
عبارة عن أربع جدران وسقف وباب ضيق منخفض!

عاش «البغدادي» هناك ولم يكن يخرج سوى في الليل فقط، كان
يخرج ويجلس وسط الأرض الخالية يتحدث إلى الفراغ، ويستمر
في الحديث حتى الفجر ثم يعود ليختفي حتى الليلة التالية.

مع مرور الأيام بدأ الناس يلاحظون أن عدد الكلاب الضالة
والأفاعي في القرية ازداد بشكل ملحوظ، وفي نفس الوقت ظهر
البغدادي على عكس المعتاد وهو يجوب الشوارع في الليل، لم يكن
يفعل شيء، فقط يجلس بجانب البيوت كأنه يراقب الناس.

الغريب أن الكلاب كانت تتجمع حوله بطريقة غير مفهومة، وعند

نهاية الليل يغادر البغدادي القرية ويعود إلى الجبل بينما تتجه الكلاب وتقف عند بيت معين، وفي الصباح يكتشف الناس أن أحد سكان ذلك البيت قد مات!

معظم الأهالي اعتقدوا أن ذلك من قبيل المصادفة، الكلاب تقف أمام بيت وفي الصباح يموت شخص، ولكن مع تكرار الحادثة أكثر من مرة بنفس التفاصيل، انتابهم الخوف وأدركوا أن الأمر ليس مجرد صدفة. كانوا يستيقظون على صراخ وبكاء من أحد البيوت، وعندما يسارع الرجال لمساعدة من بداخله، يجدون أحد الكلاب واقفاً يراقب دون حراك.

الموت انتشر وبدأ الناس يقولون إن «البغدادي» يجلب النحس للقرية ويجب طرده هو وكلابه لكن أحد لم يجرؤ على فعل ذلك.

وفي يوم من الأيام، كان هناك رجل فقير يمر بالصدفة فوق الجبل وتحديداً من أمام منزل البغدادي، لكن المشهد الذي شاهده جعله يعود مسرعاً وهو يصرخ في الشوارع بطريقة جعلت الأهالي يخرجون من بيوتهم مذعورين!

الرجل ظل يصيح ويشير إلى الجبل وهو يبكي ويصرخ كمن رأى القيامة. وعندما حاول الناس تهدئته، بدأ يهذي بكلمات غير مفهومة، وأخبرهم أنه شاهد البغدادي يجلس في بحيرة من الدم، ويتحدث إلى الأرض، وأنه لم يكن وحده!

حاولوا أن يفهموا مع من كان يجلس، وبمجرد أن أراد الرجل أن يتكلم تحشرج صوته، ومد قبضته داخل حلقة كأنما يحاول إخراج شيء، وفجأة انتزع لسانه بقسوة بالغه وسط دهشة وفزع الجميع

ثم سقط ميتًا وكأنه يعاقب نفسه على أنه تفوه بما رأى!

كانت تلك الحادثة هي القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون.. في تلك الليلة تجمعت النساء واحتشد الرجال وخرجوا متوجهين إلى مكان البغدادي ليروا بأنفسهم ما الذي يحدث وليضعوا حداً له. بمجرد أن وصلوا إلى الجبل بدأت نساء القرية في جمع الأحجار من الأرض ورميها نحوه، وهن يصرخن:

- يا وش الشؤم .. يا دجال

حاول البغدادي الهرب لكن الرجال قبضوا عليه ألغوا به داخل بيته وأغلقوا عليه الباب بالأقفال. هددوه بأنهم سيقتلونه إن حاول مغادرة القرية أو حاول الهرب. أرادوا أن ينتقموا منه على كل فرد توفي منهم. لم أكن وقتها أفهم لماذا، ولم أعرف سبب الاكتفاء بسجنه وعدم قتله، هل كانوا يخافون منه، أم ان هناك سبب آخر؟ لا أدري لماذا ألغوه هناك. المهم أن البغدادي ظل محبوسًا في منزله، عاجز عن الخروج أو مغادرة القرية، وكلما مروا من هناك سمعوه يصرخ ويتوسل لهم من وراء الباب أن يجلبوا له شيئًا من الطعام، لكنهم كانوا يضربون منزله بالحجارة ثم يمضون في طريقهم..

في النهاية، توقف البغدادي عن الصراخ. يبدو أنه استسلم وأدرك أن لا سبيل للخروج، ظل مسجون هناك لعلاث سنوات كاملة. لم يعرف أحد كيف عاش كل تلك المدة بدون طعام أو شراب.. المهم إنه توقف عن الظهور من خلف الجدار، وانقطع صوته الصادر من البيت الصخري.

لم يعلم الأهالي بموته إلا عندما شموا رائحة غريبة تصدر من

داخل البيت، وسمعوا أصوات الكلاب تعوي حوله. أدركوا أخيراً أنه قد مات وقرروا الذهاب لدفنه..

في تلك الليلة، تطوع مجموعة من الرجال وذهبوا إلى هناك لاستخراج الجثة، وحين وصلوا شاهدوا مشهد مرعب، شاهدوا عشرات الكلاب السوداء حول منزل البغدادي وتحيط به، كلاب ضخمة بشعه تبدو كالذئاب وتقف حول المنزل وفوق سقفه، وجميعها دون استثناء، تنظر إليهم وتستعد للانقضاض عليهم إذا اقتربوا!

المجموعه كلها عادت كما جاءت.. تركوا الجثة كما هي.. لم يجرؤ أحد على الدخول والاقتراب من منزل البغدادي، وكل تلك الكلاب المرعبة تحيط به!

بعد موت البغدادي، ظهرت علامات على وجود مخلوق خارق للطبيعة، مخلوق بلا رأس يقتل الناس!

صار شيء عادي جداً أن نسمع إعلان عن حالة وفاة جديدة، أصبحنا نشاهد جمث مشوهه في الشوارع، نسير في أرض ممتلئة بالدماء!

أصبحت السماء ممتلئة بالدخان.. الناس يتحركون في صمت ووجوم كأنما ينتظرون يوم القيامة أو الموت.. القرية كلها أصيبت بلعنة رهيبة ولا أحد قادر على إيقافها.. المقابر أصبحت تحترق وتخرج منها الجمث، آبار الماء تتفجر بالجمث، الأرض نفسها كانت تتشقق وتخرج منها الجمث.

- الحقني يا شيخ سليمان.

فتحت الباب فوجدت أمامي واحد من رجال القرية يحمل ابنه ويضعه أمامي وهو يصرخ في ارتياح:

- ابني هيموت.. الواد بينزف.. الحقني ابني هيروح مني

كانت الدماء تسيل من جروح كثيرة في جسم الطفل كأن هناك شيء مفترس مزقه!

- ادخل بسرعة

لكن قبل أن يدخل الرجل توقف الطفل عن الحركة ومات.. انهار الرجل على الأرض يبكي وهو يحتضن ابنه.. وفي الخلفية لمحت زوجته تجري مسرعه وهي تلتطم وتشق العياب ومن حولها عشرات الرجل يجرون كأنهم يحاولون الهرب من شيء مرعب. أغلقت الباب وعدت إلى الداخل:

- أنا آسف

الأيام التالية كنت أراقب كل ما يحدث وأنا أنتظر الموت.. نعم هذا هو المصير الذي أستحقه، والدين الذي أريد أن أدفعه عن طيب خاطر!

ثم ذات يوم فوجئت بالعديد من أهالي القرية يتجمعون عند عتبة باب منزلي ويطلبون مني أن أساعدهم:

- الغوث يا شيخ سليمان.. الغوث

سمعت أصواتهم تطلب وتتوسل بلا كلل أو ملل.. لا.. لا لن أعود
مجدداً إلى هذا الطريق.. صرخت فيهم:

- امشوا.. امشوا

أغلقت كل الأبواب والنوافذ بإحكام.. لم أسمح لأحد بالدخول إلى
منزلي أو حتى التحدث معي.. أخبرتهم أن علينا أن نتقبل مصيرنا
وندفع ثمن أخطاءنا!

- افتح يا سليمان .. البلد محتاجك

كان هذا صوت الرجل الوحيد الذي لا أستطيع أن أرفض له طلباً..
رضوان الحانوتي.. فتحت له الباب وجلسنا سوياً.. قلت وأنا أحنى
رأسي:

- أنا غلطت كثير يا سيدنا

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه وقال:

- وماله .. ما أنا ياما غلطت

- بس غلط عن غلط يفرق

هتف قائلاً:

- يا سليمان إنت لو غلطت في حاجة زمان ده مش معناه إنك
مينفعش تكون ضدها دلوقتي.

نظرت إليه:

- لكن ده نفاق!

قال وهو يضع يده على كتفي:

- مش نفاق.. إنت كدا عرفت الصبح.. متسمحش لماضيك إنه يكون قاضي وجلاد عليك في نفس الوقت.. الغلط والذنب والتوبة حاجات ضروري تتقبلها

- صدقني مش قادر؟

غمغم قائلاً:

- صدقني إنت يمكن كل اللي حصل ليك زمان كان عشان اللحظة دي.. هو إنت مش كنت عاوز تكفر عن ذنوبك؟

- بدعي ربنا بده كل يوم يا سيدنا

قال في حماسة:

- وهى دي فرصتك يا سليمان.. أنا حاسس إن ربنا كان بيجهزك لليوم ده

نظرت له ولم أرد!

في الليل ودون أن يشعر أحد تسللت من المنزل واتجهت إلى بيت «البغدادي».. كانت شوارع القرية فارغه بلا حياة.. الغريب أنني اليوم أشعر أن الهواء مختلف.. ربما تكون هذه هى آخر أنفاسي..

صعدت الجبل ورغم أن الأرض من المفترض أن تكون صلبة لكنها كانت موحلة على نحو عجيب..

حين وصلت عند بيت البغدادي، شاهدت عشرات الكلاب السوداء
تقف في تحفز.. عبرت من بينها بلا خوف ودخلت إلى البيت
مباشرة..

في الداخل استقبلتني رائحة كريهه جداً.. وعلى الأرض رأيت جثة
البغدادي تجلس القرفصاء كأنه في جلسة تأمل!

- كنت بتستدعي إيه قبل ما تموت يا ملعون؟!

قلتها وأنا أقرب منه وأتفحصه.. بطنه منتفخه كأنها ستنفجر..
ختم مدقوق فوق جبينة.. وجهه يكسوه الدم وطحالب خضراء..

بدأت أسمع صوت أزيز منخفض آتياً من مكان ما.. توقفت
وأنصت.. الأزيز أشبه بنغمة واحدة ثابتة تتكرر باستمرار..

فجأة صرخت الجثة..

وبمجرد أن صرخت اختلطت الألوان حولي وانتقلت إلى عالم
«البرزخ»..

عالم غريب ومرعب جداً..

عالم السماء فيه على شكل وجوه تنظر ناحيتي..

وجوه رهيبه كأنها وجوه عمالقة تخترق السماء من أعلى..

السماء ممتلئة بهم..

عيونهم دموية..

نظراتهم تنغز وجهي كأبر حارقة..

- أوعي تفقد وعيك

هكذا صرخ الصوت المذعور داخلي.. إن غبت عن الوعي ربما لن أعود مطلقًا.. هنا تعيش كيانات ومخلوقات لا يمكن تصورها..

تحركت وشعرت أن الأرض هلامية تحت قدمي. بعد مدة سمعت أصوات صرير وتشقق وانكسار ثم شاهدت مخلوقات غريبة تظهر من العدم.. مخلوقات يشبهون البشر للوهلة الأولى لكنهم أشبه بالوحوش!

كانت تلك المخلوقات متجمده كالتمائيل.. ثم ظهرت دوامة في السماء وراحت تسحب كل الوجوه!

حدث كل شيء سريعًا لكن بالنسبة لي كان بطئًا كأنه سلسلة من الصور الثابتة المتتابعة.. في الصورة الأولى تجمعت الوجوه داخل الدوامة.. الصورة الثانية راحت الوجوه تختلط وتذوب.. الصورة الثالثة تحورت وتجسدت على هيئة كيان مرعب.. كيان شديد القبح عبارة عن وجوه وعيون فقط!

الآن فهمت كل شيء.. «البغدادي» قبل أن يموت أراد أن ينتقم من أهل القرية وفتح بوابة بين هذا العالم وبين عالمنا وأحضر مخلوقًا اعتقد القديمان إنه هو الإله.. مخلوق جبار خالد لا يمكن قتله.. لكن.. لكن يمكن سجنه!

اقترب مني المخلوق ببطء وهو يتلوى كالأفعى وقال بصوت يشبه نعيق البوم:

- تعال يا سليمان

شعرت بالخوف والابتهاج على حد سواء.. الخوف من هذا المخلوق.. أما الابتهاج فمن العسير شرح أسبابه.. كان شعور غريب.. سمعت صوت رضوان الحانوتي يدوي في رأسي:

- كل اللي حصل ليك زمان كان عشان اللحظة دي يا سليمان

المخلوق يردد وهو يمد كلتا يديه نحوي:

- تعال يا سليمان

يريدني أن أنضم إليه.. كلانا مجرد وحشان.. هذه هي حقيقتنا.. لا بد أن نموت.. ولمحت عنقه يستطيل.. ثم وجهه ضربته فجأة كما توجه الأفعى ضرباتها، أطلق عنقه إلى الأمام نحوي بضربة أشبه بطعنة سكين.. تركت عنقه الطويل يخترق صدري.. سوف يعيش الناس وسوف أموت أنا.. قمت بالتضحية بنفسي، وباستخدام تعويذة سحر قوية لا يمكن كسرها، صنعت من جسدي سجن أبدي لهذا المخلوق بعد أن سحبت روحه داخلي!

حين عدت إلى عالمنا كنت قد أوشكت على الموت.. قمت بتجهيز مقبرة لي في مكان بعيد داخل الصحراء.. دققت على جدرانها عزيمة من السحر الاسود، وكتبت فوقها طلاسمة وتعاويذ قوية لأضمن عدم خروج المخلوق في حالة فناء جسدي.

كتبت مذكراتي بعد أن طلبت من رضوان الحانوتي أن يقوم بدفن جثتي في تلك المقبرة عندما يحين الوقت. المخلوق سوف يظل حبيس داخل جثتي والمقبرة، وليرحم الله من ينبش قبري بعد ذلك.

وهنا انتهت مذكرات «سليمان»!

لدقائق ران صمت طويل بيني وبين «مروة».. الأحداث رهيبة وغير متوقعة.. حسب ما فهمت أن هذا المخلوق هو كائن من عالم البرزخ.. «سليمان» قام بسجنه داخل جسده لإنقاذ أهل القرية.. وحين يموت سليمان يقوم رضوان الحانوتي بدفن الجثمان في القبر المرصود الذي قام سليمان بتجهيزه وفقاً للوصية.. تمر السنين ويقوم والد صلاح بحفر سرداب مكان القبر بالصدفة.. يتحرر المخلوق، لكنه يظل سجين المكان بسبب الطلاسم المكتوبه على جدرانه.. فهمت الآن.. لهذا كان جسده يستطيل ويتمدد.. كان أقصى ما يمكن الوصول إليه هو باب السرداب!

تجادلت قليلاً أنا ومروة بشأن الخطوة التالية..

بعد نصف ساعة ودعتها واتجهت مباشرة إلى مستشفى العباسية للصحة النفسية.. كان الوقت غير مناسب للزيارة لكن الدكتور راشد ساعدني على الدخول.. ذهبت مباشرة إلى غرفة «صلاح»

- خalina نفترض إنني مصدق كل الكلام اللي قريته.. إيه المطلوب؟

قلتها وأنا ألقى المذكرات أمام صلاح الذي نظر لي لعوان ثم قال في هدوء شديد:

- تنفذ عهدك اللي وعدتني بيه أول لما اتقابلنا يا نبيل

هتفت في عصبية:

- اللي هو إيه؟

- تساعدني علشان أنتقم وأقتل المخلوق

قالها ومأل براسه يتأملني.. قلت في توتر:

- تقتله إزاي وإنت محبوس هنا؟!

صاح في حدة:

- عندي خطه جهنمية

- أعرفها الأول؟

ابتسم في خبث:

- هتعرفها في وقتها.

سألته وأنا أتابع انفعالاته:

- إنت عرفت إن مراتك رباب ماتت؟

أغمض عينيه حزناً ثم قال:

- وصلني الخبر من يومين.. في الحقيقة كنت متوقع إنه يقتلها

قبل كدا

- علشان كدا عاوز تقتله.. تنتقم منه يعني؟

اختنق صوته للحظة وهو يقول:

- لا أنا عاوز أنقذ بنتي.. هي الوحيد اللي لسه باقية وأنا واثق إنه

مش هسيبها والمسالة مسالة وقت قبل ما يوصل ليها و...

- ما إنت بتقول إنه مش بيقدر يغادر السرداب

بدا شديد الانفعال وهو يقول:

- صحيح هو مش بيقدر يغادر السرداب لأن سليمان محاوطه بطلاسم وتعاويذ.. لكن يقدر يتحكم في أي حد زي ما عمل معايا ويبعته يقتلها أو عن طريق التخاطر أو عن طريق أي طريقة تانية.. الملعون ده عنده مليون طريقة وطريقة.. المهم قوللي إنك موافق تساعدني.

قلت في توتر:

- موافق

- خليك فاكر كويس.. أول لما نبتدي مفيش رجوع

- طيب فهمني هعمل إيه؟

قال في صرامة:

- أنا قضيت كل السنين اللي فاتت بدور عن طريقه لقتل المخلوق ده.. هو مش جن علشان يتحرق بالطرق العادية.. أو كيان له جسم زينا من لحم ودم نقدر ندمره.. المخلوق ده ميقدرش يدمره غير شيء واحد في الكون.

سألته في اهتمام:

- إيه هو؟

- القرين.

نطق كلمة «القرين» بصوت رخيم ورنان ثم أضاف بسرعة:

- القرين هو «شيطان» مميز من عالم الجن.. ولكل شخص فينا له قرين بيلازمه من أول يوم اتولد فيه.. مش إحنا بنشوف العيل أول ما بينزل من بطن أمه بيصرخ، طب سألت نفسك ليه بيصرخ؟! بيصرخ لأن قرينه اللي بقى رفيق ليه ضربه، والإنسان لما ويموت أو بيتقتل بطريقة غير طبيعية بيظهر قرينه وغالبًا بيحصل انتقام منه في حالة الحوادث البشعة

ثم ضم قبضته مستطرداً:

- القرين بيعتبر أقوى مخلوق روحاني ولما بيتجسد بيكون ليه كيان مادي أقوى من أي حاجة حية، القرين يقدر يأذي لكن ما حدش يقدر يأذيه

- يعني إيه؟

أجاب في حدة:

- يعني القرين هو الشيء الوحيد اللي يقدر يقتل المخلوق

حدقت في وجهه:

- إنت قصدك إننا...

هز رأسه في إيجاب ثم قال:

- أيوه.. هنعضر قرين وهنحطه في مواجهه مميتة مع المخلوق الموجود جوه السرداب.. جبار ضد جبار.

كلام صلاح كان صادم بالنسبة لي لكن قلت:

- وإنت تعرف تحضر القرين؟

تمتم قائلًا:

- في ناس كثير بتتدعي قدرتها على تحضير القرين، وبيستخدموا طرق صبيانيه زي التركيز في المرايا أو الشمعه وغيرها، الطرق دي حتى لو نجحت بيبقى تواصل طفيف جداً.. القرين إللي بيحضر بيبقى ضعيف وهش جدا ووجوده بيبقى زي ذرات الغبار وبيختفى بسرعة.

قلت في عصبية:

- طب وإيه المختلف في إللي إحنا هنعمله؟

اندفع يقول في حرارة وحماس:

- أنا قرأت في كتاب شمس المعارف الكبرى عن طريقه محرمة لتحضير القرين.. هي خطر وصعبه جداً لكن المميز فيها إنها بتدي كيان مادي للقرين لدرجه إنك تقدر تشوفه وتتكلم معاه كأنه عايش.. الطريقة وحشيه جداً وصعبة جداً جداً.

قلت وأنا غير مقتنع

- وهى دي الخطه الجهنمية؟!

هتف في غضب:

- إنت مش مصدقني؟

لوحث بيدي في انفعال:

- أنا ما بقتش قادر أصدق حاجة

ارتفعت نبرة صوته وهو يقول:

- عارف إنك ممكن تقول إيه الراجل المجنون ده وإنك ماتصدقش أي حاجة من إللي بقولها لك.. بس أنا كل حاجة قلتها لك متأكد منها مليون في المية.

حاولت العنور على رد لكني فشلت بينما أردف في صرامة:

- وبعد لما تنفذ المطلوب منك هيوصلك مني شيك بنص مليون جنيه عن طريق الأستاذ فوزي المحامي بتاعي.. أعتقد ده عرض لا يمكن رفضه.

قلت في حيرة:

- طيب وأنا إيه المطلوب مني بالضبط؟

أجاب في سرعة:

- إنت اللي هتكون مسئول عن تحضير القرين وهتستدعيه من عالم البرزخ

سرت قشعريره غريبه في جسدي وأنا أسمع الكلمة الأخيرة وقلت:

- ده نفس العالم اللي جه منه المخلوق

ارتج صوته وهو يقول:

- وبرضه نفس العالم اللي بيروح له القرين بعد موت الإنسان

المرافق ليه.

سألته:

- طيب والميت اللي هنعمل عليه الطقوس.. مين هو؟

نظر لي صلاح ثم ابتسم في غموض وقال:

- حد إنت تعرفه

حدقت في وجهه:

- مين ده؟

تبدلت ملامحه إلى فراغ وأشاح بوجهه إلى الحائط ثم أغمض عينيه.. عدت أسأله في مزيج من التوتر والخوف:

- مين يا صلاح؟

- أنا

قالها ولانت فقرات عنقه دفعة واحدة ثم انتصب فجأة..

وصرخ..

وصرخ..

وصرخ..

وبكل قوته ضرب عنقه في حافة المقعد ضربة هائلة فانكسرت عظامه وسقط على الأرض جمّة هامدة.

وضعت إصبعي على جرس باب الأستاذ فوزي في اضطراب وأنا أحاول السيطرة على رعشة يدي التي انتابتني مؤخراً.. دقت مرة ثم دقت مرة أخرى طويلة.. كان قد مضي ثلاثة أيام على انتحار صلاح.. خلالهما صار التفكير في صلاح جزء لا يتجزء من حياتي، أنام وأصحى على وجهه الشاحب.. عنقه المكسور، وعينييه الزائغتين.. أسمع صوته وأهذي به في أحلامي.. أتخيله طوال الوقت يراقبني وينتظر أن أنفذ الاتفاق.. تباً لهذا الجحيم الذي ألقيتني فيه يا صلاح!

في اليوم الرابع فوجئت باتصال من الأستاذ «فوزي» المحامي يطلب مني مقابلته.. أخذت عنوانه وركبت سيارتي واتجهت إليه.. استقبلني بابتسامه منهكة.. كان أكبر سنًا مما تخيلت ويرتدي سترة مخططة قديمة الطراز ذات جيوب كبيرة.. صافحني في ود غريب وهو يقول:

- ازي الحال يا نبيل؟

- خير.. كل خير

قادني إلى الصالون وهو يقول بصوت مبحوح:

- معلىش.. تعبان انهارده ومش قادر أنزل المكتب وعلشان كدا

طلبت منك تقابلني هنا

ثم ضحك وأضاف:

- العظمة كبرت بعيد عنك

- ربنا يعينك

جلسنا وجاءت امرأة كبيرة في السن.. رحبت بي بصوت كأنه يخرج من أنفها.. قال الأستاذ فوزي وهو يشير عليها في فخر:

- «منى».. مراتي

- أهلاً وسهلاً

تذكرت وأنا أصفحها «منى» السكرتيرة التي كانت تعمل لديه.. نفس المواصفات كما تخيلتها.. ربما تكون هي.. وربما لا.. ويبدو أن الأستاذ فوزي قرأ أفكاري فقال:

- أيوه هي اللي صلاح اتكلم عنها.. صحيح حصل اختلاف لفترة بيني وبينها بس في الآخر حبيننا بعض واتجوزنا

ضحكت مني:

- الطيور على أشكالها تقع.

بادلها الأستاذ فوزي الضحك ثم سألني:

- تشرب إيه؟

- قهوة مضبوط

التفت الأستاذ فوزي إلى زوجته:

- قهوة مضبوط لو سمحتي.. بس من البن المخصوص بتاعي

وانتظر حتى أغلقت الباب وراءها والتفت لي وهو يتسم نصف

ابتسامه قائلاً:

- أصل مش بيخرج غير للحبايب بس

ثم صمت للحظة وعاد يكمل كلامه:

- ندخل في الموضوع مباشرة؟

- ماشي

تنهد قائلاً:

- انتحار صلاح كان شيء بشع جداً.. لكن أنا مش هكذب عليك وأقول إنني اتفاجئت.. هو كتير أوي كلمني عن خطته المجنونه.. اللي هي استحضار القرين وكل الكلام ده.. بالنسبة لي أنا مكنتش موافق، بس الدكتور «راشد» كان ليه عامل كبير في قرار صلاح خصوصاً إن هو اللي قدر يوصل لمذكرات سليمان ومعرفش بصراحة قدر يوصل لها إزاي

- أنا...

قاطعني:

- أنا مش فارق معايا حاجة.. أنا رجل قانون.. في الأول والآخر وملتزم دايمًا باتفاقي مع العميل.

- أيًا كان الاتفاق؟

هز رأسه:

- مادام مش هيضر حد

- بس صلاح قتل نفسه!

لوح بذراعه كلها وقال بانفعال:

- ما أنا قلت ليك إني كنت رافض الفكرة من البداية.. بس مادام
وصلنا للمرحلة دي أنا مضطر أكمل.. دي وصيته وأنا ملتزم بالإشراف
على تنفيذها

في تلك اللحظة دخلت منى وهى تحمل فنجان قهوة ووضعتة
أمامي وهى تقول بصوتها الغريب:

- اتفضل

- شكراً

ارتشفت رشفة صغيرة من فنجان القهوة فاكتشفت إنها أسوأ مما
كنت أتوقع.. غمغم الأستاذ فوزي في حرج :

- للأسف «منى» طول عمرها مبتعرفش تعمل القهوة

قلت كاذبًا:

- بالعكس دي جميلة

غمغمت منى في سعادة:

- بالهنا والشفأ

قالت ذلك وغادرت الغرفة.. عاد الأستاذ فوزي يقول وقد استعاد
السيطرة على هدوئه:

- زي ما قال ليك الأستاذ صلاح.. فيه عهد بينك وبينه وتعليمات

وحاجات معينة هتنفذها.. وبعد لما تخلص هتلاقي حسابك في البنك زاد بمبلغ نص مليون جنيه

اعتدلت في مكاني وأنا أقول:

- السؤال اللي محيرني.. ليه اختارني أنا بالذات؟

قال في رصانة:

- أنا برضه سألته السؤال ده.. بص هو إجابته كانت مبهمه.. حرفيًا أنا مقتنعتش بيها.. بس يمكن تقول إنه كان واثق إنك هتلتزم بعهدك معاه علشان ميبقاش خسر حياته على الفاضي.

- طيب وأنا هعمل إيه بالضبط؟

أخرج الأستاذ فوزي ورقة مطوية من جيبه وقال:

- الورقة دي فيها كل التعليمات والخطوات اللي هتعملها.. صلاح هو اللي كتبها بنفسه.. الكلام فيها واضح والتفاصيل بسيطة

تناولت الورقة ورحت أقرأها، وفي أثناء ذلك، بقي الأستاذ فوزي ثابتًا في مكانه مباعداً ساقيه ومرخيًا ذراعيه وهو يراقبني.. اكتشفت أن هناك شيء آخر من المفترض أن أستلمه.. سألته وأنا أطوي الورقة بعد أن انتهيت منها:

- والشنطة؟!

أخرج حقيبة جلدية أسفل مقعده ووضعها أمامي قائلاً:

- الشنطة دي هتلاقي فيها كل حاجة هتحتاجها

ثم أشار بذراعه محذراً وهو يستطرد:

- ومتنساس يا نبيل.. لازم قبل مرور سبعة أيام من موت صلاح..
مر كدا أربعة أيام وقدامك بس 3 أيام

تنهدت في عمق قبل أن أقول:

- مفيش 3 أيام

غمغم في حيرة:

- يعني إيه؟

وضعت الورقة في جيبتي وحملت الشنطة على كتفي ثم قلت وأنا
أنهض:

- يعني انهارده هنفذ العهد

ودعت الأستاذ فوزي، ثم غادرت من عنده حاملاً الحقيبة التي
اكتشفت إنها تضم ست شمعات سوداء وورقتين صفراويتين
صغيرتين ملفوفتين بشكل أسطواني، مع خيط ملفوف حول كل
منهما، وزجاجة بها سائل أسود!

في طريقي، مررت بمحل لبيع الحيوانات الأليفة، فاشتريت قطعة
سوداء، كما اشتريت فرشاة رسم وأدوات أخرى. عدت إلى المنزل،
وأخرجت القطعة من الصندوق، على الرغم من لونها الأسود، إلا أنها
كانت تتمتع بجمال نبيل. أحضرت طبقاً ووضعت فيه لبن.. أخذت
ورقة من الورقتين ومقصاً، وقربت الورقة من فمي وهمست

”دمدم“.. قصصت قطعة من الورقة ووضعتها في الطبق.. همست مرة أخرى ”دمدوم“ وقصصت، ثم ”حسا“ و”بسا“ و”شاصر“ و”باصر“ و”طارش“ سبع قطع بسبع أسماء، تمامًا كما كُتب في التعليمات..

أخرجت ملعقة من الدرج وبدأت أخلط اللبن بالورق وأقلبه جيدا حتى امتزج وذاب تماما، ثم وضعت الطبق أمام القطة، فاقتربت منه بهدوء وبدأت تشرب.. جلست على الأريكة المقابلة لها وأخرجت الورقة التي دونت فيها ما يجب على فعله وقوله بالضبط، وبدأت في حفظها.. ركزت على الورقة ونسيت وجود القطة.. وبعد قليل من الوقت، سمعت صوت مواء مرعب قادم من ناحيتها!

عندما نظرت إليها، رأيتها واقفة تنظر إلي، لكن مظهرها قد تغير بشكل غريب، على الرغم من احتفاظها بلونها وحجمها، إلا أن وجهها قد تحول، واختفت البراءة منه ليحل محلها مظهر خبيث، كما أصبح لون عينيها أحمر قان.. لم أتمكن من تصديق ما أراه.. كانت تبتسم لي ابتسامة شريرة.. توترت من مظهرها، واقتربت منها وهي لا تزال تنظر لي وتبتسم بنفس الشر.. قمت بحملها دون مقاومة ووضعتها في الصندوق وأغلقتة عليها. وصلني اتصال من مروة:

- إنت فين ؟

- في البيت

- أنا جايه ليك دلوقتي

- وأنا في نتظارك

أنهيت معها المكالمه وبقيت على هذه الحال حتى وصلت.. كنت قد حفظت ما هو مكتوب في الورقة أفضل من حفطي لاسمي حرفيًا.. أخبرت مروة بما سوف أفعله ثم أخذت الصندوق الذي بداخله القطة، والكيس الأسود، ومطرقة، وسكين، وركبنا السيارة وانطلقنا إلى مكان محدد..

إلى أين..؟

إلى القرافة (3) بالطبع..

هذه قصة رعب يا صديقي وليست نزهة

نزلت من السيارة أمام مدخل القرافة وطلبت من مروة أن تنتظرني ساعة واحدة فقط.. وفي حالة تأخرت أكثر من ذلك تقوم بالاتصال بالشرطة.. قالت مروة:

- إنت واثق من اللي هتعمله؟

- بصراحة لأ

قلتها ونظرت إلى ساعتني، كانت تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل.. «جيد جداً، الوقت مناسب الآن».. أخذت الصندوق الذي بداخله القطة والكيس الأسود، ولمست السكين، ثم فتحت حقيبة السيارة وأخرجت الزجاجاة التي تحتوي على السائل الأسود، واتجهت نحو باب المقابر. هدوء تام يخيم في الأرجاء، لا صوت يسمع سوى وقع خطواتي، وكأنني أسير في صحراء قاحلة.. حاولت أن أسرع في خطواتي بين القبور وشواهد الموتى، خوفاً من أن أرى

شيئًا مُرعبًا.

هل كنت خائف؟

طبعا وبالتأكيد.. من ذا الذي يذهب إلى المقابر في الليل، وينوي فعل ما سأفعله دون أن يكون خائفا !

- «آآآه

انتفضت عندما سمعت صوت مواء مرعب ينبعث من الصندوق.. لعنت نفسي مائة مره، وبدأ قلبي يقفز خوفاً.. وقفت لبضع ثوان لألتقط أنفاسي من شدة الرعب، ثم عدت إلى طريقي حتى وصلت..

نظرت نظرة سريعة حولي، لا أدري مما كنت خائف أكثر: أن يراني أحد، أم أن أرى أحد. توقفت أمام مدفن كبير له باب حديدي مغلق بقفل، مدفن «صلاح».. هنا يرقد وهنا تم دفنه..

اقتربت من الباب الحديدي ووضعت ما كنت أحمله على الأرض.. أمسكت المطرقة ورفعتها عاليا، ثم ضربت القفل بقوة.. رن صوت الضربة وتكرر عدة مرات، فسمعت نباح كلاب يأتي من بعيد..

رفعت يدي وضربت القفل مرة أخرى، فسقط على الأرض متحطفاً، وانفتح الباب.. كان منظر الباب المفتوح مرعباً.. لم أتمكن من رؤية سوى الدرجة الأولى من السلم، بينما كانت باقي الدرجات غارقة في الظلمة.. بدا القبر كوحش مفترس فتح فمه ويستعد لابتلاعي، وخرجت منه رائحة عفونة قوية جعلتني أسعل رغماً عني..

تقلص قلبي من الخوف، وبدأت أشعر بالرهبة.. أمسكت الزجاجة وفتحتها، ثم سكبت ما بها من سائل أسود على الأرض أمام الباب..

لم أتمكن من تمييز ماهية ذاك السائل في الظلام، لكن صلاح كان قد كتب في ورقة التعليمات أن أسكبه قبل الدخول..

شعرت للحظة ببعض التردد جعلتني ألقى المطرقة أرضًا وأفكر في الهروب من هنا، لكن أين سأذهب؟ كيف أهرب من ضميري.. "صلاح" مات ولا يمكنني تحمل فكرة أن أخذه وأن يكون موته بلا هدف.. لم يكن أمامي سوى خيارين، كلاهما مرعب.. لا تعتقدوا أنني كنت شجاعًا.. لا.. أنا تقريبًا لم أمتلك من أمري شيئًا..

أشعلت كشاف الهاتف، ثم أخذت نفسًا عميقًا ووضعت قدمي على الدرجة الأولى من السلم.. وجهت نور الكشاف إلى الأسفل وبدأت أنزل.. المنظر مرعب حقًا.. تذكرت خوفي عندما قرأت تعليمات صلاح أول مرة لكنني الآن أشعر بالرعب الحقيقي والواقعي..

واصلت النزول على السلم، وتدرجيًا ازدادت رائحة العفونة لدرجة جعلت عيني تدمعان حتى وصلت إلى الأرض.. لا مجال للتراجع الآن، لا بد من إكمال المهمة.. اخترت غرفة دفن الرجال ودخلتها.. لم يكن فيها سوى جثتين نائمتين في اتجاه واحد، جثة صلاح وجثة والده..

سلطت الكشاف عليهما لأميز جثة صلاح.. لم أحتج إلى وقت طويل للتعرف عليها.. كانت ملفوفة في كفن جديد..

اتجهت إلى صلاح، ونزعت الكفن من على وجهه.. صرخت وغطيت فمي بيدي، المنظر مرعب ومقزز.. لون جلده أزرق، عظام وجهه بارزة، ودود أسودا صغير يسير على وجهه، وشعر رأسه متساقط من عدة أماكن.. نعم كنت أتوقع أن شكله قد تغير، لكنني لم

أتخيل أبداً أن يكون بهذه الصورة..

تحركت بصعوبة من شدة الخوف إلى ركن من أركان المقبرة،
ووضعت الهاتف على الأرض بزاوية تجعل الكشاف يلقي الضوء على
نصف القبر.. ثم التفت و.. و...

صرخت بصوت عال وسقطت على الأرض..

شاهدت ثلاث نساء يرتدين الأسود، يجلسن على الأرض بجوار
بعضهن البعض.. كل واحدة منهن تغطي رأسها بخمار أسود يسدل
على وجوههن.. كان المنظر مخيف جداً وشعرت أنه سيغمي علي من
شدة الرعب!

تذكرت تعليمات صلاح:

- خد بالك يا نبيل، هتشوف حاجات تحت الأرض، نساء الجن،
بس متخافش، مفيش حاجة منهم تقدر تأذيك، أهم شيء إنك تكمل
للنهاية وإلا مش هتخرج من القبر.

حين سمعت ذلك قلت لنفسي أنني سأقدر على فعل ذلك، وأني
سأقدر على تجاهل أي شيء مخيف قد يحدث، لكن الكلام كان سهلاً
وقتها!

حسنًا.. سأحاول أن أتجاهل أي شيء مخيف قد يحدث.. فقط أنا
الآن سوف أجلس وأنتظر ما هو قادم

جلست القرفصاء على الأرض لبرهة من الزمن، وأنا أترقب حدوث

أي تغيير يبدد حالة السكون، لكنه ظل مخيقًا، بينما نساء الجن جالسات في أماكن في جمود تام، كأنهن تماثيل صامتة..

استندت على الأرض ونهضت وأنا أتحسب أي رد فعل غير متوقع، لكن لم يحدث شيء.. حاولت جاهداً أن أستجمع قواي وأهدئ من روعي، لكن التوتر كان قد تمكن مني..

تحركت ببطء نحو الصندوق الذي يحوي القطة وفتحته.. نظرت لي القطة نظرة شيطانية، كأنما تستلذ برعبي.. أحضرت دلوًا فارغًا وأخرجت القطة من الصندوق ووضعتها فيه، ثم أمسكت السكين ووضعتة على رقبتها..

لم يخطر ببالي قط، ومهما حلقت بخيالي، أن أكون في هذا الموقف العصيب.. ولكن من ذا الذي يصدق أصلًا كل ما يحدث لي منذ أسبوعين؟

لا أدري من أين اكتسبت هذه القسوة، فرغم الخوف الذي يعتصرني، تمكنت من فعل ما عزمت عليه.. حركة بسيطة بالسكين على رقبة القطة، وبدأت تتحرك بعنف داخل الدلو، وروحها تفارق جسدها، ودمها ينساب.. كانت تصدر خوار مخيف وهي تتلوى في سكرات الموت..

لم تمر دقيقة حتى سكنت حركتها تمامًا.. رفعتها من الدلو قليلا لكي يستمر الدم في النزول.. لون دمها أسود ورائحته كريهة للغاية.. وحين أصبح لدي ما يكفي من الدم، وضعت جثة القطة جانبا..

فجأة اهتزت الأرض تحت قدمي وخرج ثعبان.. ثعبان بالغ

الضخامة.. زحف نحو جثة القطة والتف حولها ثم قضم قطعه من رأسها وجذبها معه تحت الأرض..

اتجهت نحو جثة صلاح وأمسكت الكفن، وسحبت الجثة منه، وظللت أسحبها حتى وصلت بها إلى منتصف القبر..

فتحت الكيس وأخرجت منه الورقة الثانية الملفوفة، ثم اقتربت من جثة صلاح، وجلست على ركبتي أمامها، ومددت يدي لكي أفتح فمه.. كانت الجثة متيبسة وفمه لا يريد أن يفتح.. يجب أن أجد حلًا، لقد قطعت شوفاً كبيراً ولن أتراجع الآن..

أحضرت المطرقة من الحقيبة وعدت إلى الجثة، وجلست القرفصاء مرة أخرى، ووضعت الطرف المدبب للمطرقة بين أسنان صلاح ثم ضغطت بكل قوتي!

واصلت الضغط حتى سمعت صوت تكسر عظام في وجه صلاح، وانفتح فمه فجأة وسقطت منه سنتان على الأرض. كل هذا والنساء اللواتي يرتدين الأسود ما زلن جالسات في صمت مطبق، ولا يصدر منهن أي رد فعل، ولا حتى يبدو عليهن أنهن يركزن معي أصلاً..

أمسكت الورقة الملفوفة ومددت يدي لكي أضعها في فم صلاح... ظللت أضعها وأدفعها حتى دخلت إلى ما بعد حنجرتة..

نهضت وأحضرت الدلو وفرشاة الرسم، وغمست الفرشاة في الدم كأنه ألوان، وبدأت أرسم حول جثة صلاح.. وعندما جف الدم على الفرشاة، عدت وغمستها في الدم وأكملت الرسم.. وفي غضون ثلاث دقائق، كنت قد انتهيت.. رسمت نجمة خماسية كبيرة وحولها دائرة

وللحظة اعتقدت أن جمّة صلاح تحركت حركة بسيطة!

فجأة انطلقت صرخات نساء الجن مدوية، وفي نفس اللحظة تحركت جمّة صلاح بعنف مريع ونهضت..

حرك صلاح عنقه فتكسرت عظام رقبتة ونظر نحوي، كانت عيناه بيضاء تماماً، ومع فمه المكسور وجلد وجهه المتقطع، بدا المشهد كابوشاً حقيقياً..

وصرخت جمّة صلاح..

نعم هذه هي الإشارة!

صرخت بدوري وأفرغت دلو الدم على رأسي.. سائل ساخن كالحمم البركانية غمرني برائحته النتنة.. وفي نفس الوقت بدأت الجمّة ترتجف بعنف كأنها تصارع تشنجات الموت، واشتد صراخ النسوة حتى أحسست بآلم يخرق أذني..

استمر ارتعاش الجمّة حتى سقطت الشمعة على الكفن، فاشتعلت فيه النيران بسرعة مخيفة.. وفي لحظة، تحولت الجمّة بأكملها إلى كتلة من اللهب. عندها، نهضت نساء الجن جميعهن وقمن نحوي بهجوم مباغت..

سقطت على ظهري وأنا أصرخ كالمجنون.. طارت الأقمشة السوداء التي تغطي وجوه نساء الجن، وكشفت عن أشكال مرعبة، وجلود مسلوخة كأنها أحرقت بنيران جهنم، وأصوات غاضبة تزمجر نحوي..

وفجأة، تراجع عنني وتحولت صرخات الغضب إلى أنين ألم.. أدركت في تلك اللحظة أن هذه هي فرصتي للهروب.. نهضت بسرعة البرق، وقفزت فوق الجثة المشتعلة..

خرجت من المقبره وتركت كل شيء خلفي..

ركضت بين القبور كالمجنون حتى وصلت إلى سيارتي، ألقيت نفسي داخلها وأنا اصرخ في مروة:

- اطلعي بسرعة

انطلقت مروة بالسيارة وهي تهتف:

- عملت إيه؟

مسحت العرق والتراب من على وجهي:

- كل حاجة

- طيب احكي

نظرت في مرآة السيارة باتجاه المقابر لأتأكد أن لا شيء يطاردنا ثم قلت:

- مش وقته يا مروة.. مش وقته

وصلنا إلى شقتي..

فتحت الباب وطلبت من مروة أن تنتظرنني في الصالة.. دخلت بسرعة إلى الحمام، ونظرت إلى شكلي في المرآة.. كان منظري مرعبًا والدم يغطي وجهي وملابسي.. لم أتمالك نفسي وانخرطت في

البكاء.. وبينما كنت أبكي، لمحت شيئًا غريبًا خلفي يظهر في انعكاس المرأة!

كتمت دموعي وأنا أتساءل، هل ما أراه حقيقة أم وهم؟

التفت ببطء شديد، فشهقت من الرعب.. إنها القطة السوداء.. القطة التي ذبحتها بيدي قبل ساعتين.. كانت تجلس على الأرض وتنظر إلي بنفس النظرة التي يستحيل أن تصدر عن حيوان.. اقتربت منها وحملتها برفق... أقسم إنها هي.. ابتسمت ابتسامة خبيثة كأنها تسخر مني.. نظرت إلى رقبتها، سليمة تمامًا ولا يوجد بها خدش واحد.. وفجأة، خدشتني فسقطت من يدي واختفت خلف ستارة حوض الاستحمام.. هرعت خلفها وسحبت الستارة، لكنها...

لكنها اختفت!

لا.. لا يمكن أن تكون وهما.. ما رأيته خلال الأيام الماضية يؤكد لي أنني لست مجنون، وأن عقلي سليم، ثم إن الخدوش في يدي حقيقية، فكيف تكون وهما؟!

غسلت يدي من أثر الخدوش وذهبت إلى غرفتي لأبدل ملابسني بعد أن استحمت.. دخلت الغرفة، وما إن خطوت بداخلها حتى انتابني الذعر.. الظلام دامس، لكنني شعرت أنني لست وحدي، بل متأكد من ذلك.. مددت يدي لأضيء النور..

في منتصف الغرفة رأيت شخصًا واقفًا وظهره نحوي.. خفق قلبي بعنف، وتلعثم لساني، لم أستطع الكلام.. استدار الشخص ببطء، فرأيت وجهه صلاح..

أو لنقل قرين «صلاح».

لم أشعر بنفسي بعد ذلك.. ولا أعرف ما الذي حدث.. فجأة
تداخلت الأصوات والكلمات، وتسارعت المشاهد أمامي ممتزجة
بعضها ببعض.. مشاهد قديمة.. مشهد للقاء الأول مع صلاح داخل
المستشفى وغرفة العزل.. مشهد عند الأستاذ فوزي وقرين صلاح
يقف خلفه ويحدق بي.. مشهد وأنا في المقابر.. مشهد لمروة وهي
تنتظرني في السيارة وظلال سوداء تخرق جسدها و...

وفجأة توقفت المشاهد..

أغلقت عيني وعندما فتحتها وجدت نفسي في مكان أعتقد انني
أعرفه جيداً.. السرداب الذي يحوي المخلوق المرعب!

كان السرداب محاط بنباتات متسلقة مثل نباتات الزينة، لكن
فروعها سوداء وتقطر منها قطرات سوداء، وفي الخلفية رأيت
السماء ممتلئة بالسحب والدخان، وصوت الرعد عال، والبرق أصفر
اللون.. لم أشاهد برقًا بهذا اللون من قبل!

هل أنا في حلم أم شيء آخر؟

حاولت أن أنادي على أي أحد، لكن شعرت أن صوتي لا يخرج..
تحركت نحو السرداب وتوقفت أمامه قليلاً أفكر قبل أن أدخل..

حين دخلت رأيت مشهداً لن أنساه أبداً ما حييت.. رأيت نساء
الجن اللواتي كن في المقابر، يجلسن الآن على الأرض، وأمامهن طبق
فيه سائل أسود يتصاعد منه الدخان. كن يتمايلن إلى الأمام

والخلف ويصدرن أصواتاً مرعبة، كأنهن ينشدن تعويذة.. على اليسار لمحت قرين صلاح يقف بعيداً ويحدق بهن، مبتسماً ابتسامة مخيفة، ويصدر منه نفس الصوت المرعب. كان وجهه شاحباً رمادياً، وتظهر عليه عروق زرقاء مرعبة. وعيناه.. العين الطبيعية يكون فيها بياض، وفي المنتصف سواد القرنية، لكن عينيه كانت بهما قرنيتان في كل عين، والبياض مليء بعروق سوداء مخيفة.. وفي ركن السرداب، رأيت المخلوق يقف متجمد غير قادر على الحركة..

أحاط قرين صلاح بالمخلوق وفي نفس الوقت نهضت نساء الجن الثلاث، أمسكت الأولى عنق المخلوق الذي راح يتلوى بين يديها، وظلت تجذب فيه بطريقة مستحيلة، لدرجة أن جلده بدأ يتمزق، ثم جاءت الثانية ورفعت الطبق الموجود به السائل الاسود وبدأت تصب السائل فوقه، أما الثالثة فظلت تردد ترنيمة غريبة ومرعبة:

- مmmmm.. مmmmm

ظل المخلوق يرتجف بعنف ونساء الجن يفعلن به ذلك وهو يحاول الإفلات لكن بلا فائدة حتى اقترب منه قرين صلاح وقام بتمزيقه..

مزقه تماقاً..

تنهدت في ارتياح..

انتهى الأمر أخيراً..

وفجأة تصلبت نساء الجن..

امتلاً المكان بالدخان..

التفت نحوي قرين صلاح ولمحت فمه يُفتح على مصراعيه..
ثم صرخ صرخة مرعبة!

شهقت..

تبدل المشهد من حولي وسقطت على الأرض بعنف.. شعرت بالألم،
وحاولت النهوض، فوجدت «مروة» بجواري تحتضن رأسي وهى
تنادي:

- نبيل.. نبيل

فتحت فمي لأتكلم لكن توقفت الكلمات في حلقي وسعلت حتى
كادت تخرج روحي. أسرعت مروة وأحضرت زجاجة مياه. تجرعت
الزجاجة كلها حتى أغرقت وجهي. ساعدتني مروة على الجلوس
بينما سألتها:

- إيه اللي حصل؟

- أنا سمعتك بتصرخ في أوضتك.. جريت فتحت الباب لقيتك
مرمي على الأرض وعمال تنتفض كأنك بتموت

تحاملت على نفسي ونهضت بصعوبة.. وقفت أمام المرآة أتأمل
الدماء وتراب المقابر الذي يغطيني.. أبدو كأنما قدر خرجت للتو من
الجحيم نفسه. هل يعني هذا أنني نجحت؟ ولماذا أشعر بهذا الخوف
الشديد؟ هل كل ما حدث حقيقي، واستحضرت قرين صلاح وقضينا
على المخلوق فعلاً؟ لكن ماذا كان سيحدث لو كنت فشلت أو القرين

انهزم؟

قالت مروة وهى تقف أمامي:

- احكي لي بقى كل اللي حصل، من أول ما نزلت المقبره ولغاية دلوقتي.

- مش هتصدقني

لكزتني في كتفي وقالت في مرح:

- قول بقى.. كفاية تشويق وإثارة

ضحكت ومضيت أحكي لها كل ما جرى، وهى تستمع لي بتركيز وانبهار، ولم أكد أنتهى حتى وصل لي إشعار وصول رسالة على الهاتف.. رسالة تفيد إضافة مبلغ نصف مليون جنيه إلى حسابي البنكي.. رفعت الرسالة في وجه مروة وقلت في سعادة:

- الفلوس وصلت

اتسعت عيناها للحظة حين قرأت الرقم المكتوب وقالت غير مصدقة:

- ده بجد فعلاً

أمسكت يدها وقلت وأنا أنظر في عينيها:

- أنا عند عهدي معاكي.. إنت شريكتي في كل حاجة

فتحت فمها لتتلق لكن فجأة شحب وجهها بشدة واتسعت عيناها في ارتياح رهيب، ثم تراجعت إلى الوراء ونظرت حولها في هلع

كأنما تريد الهرب من شيء ما وهتفت:

- نبيل!

نظرت لها في دهشة وشعرت بقبضة باردة تعتصر قلبي.. عجزت عن الكلام بينما زاغت عيناها وبدأت تنتفض بشدة كأنما أصابها تيار كهربائي شديد وهي تردد في زعر:

- إيه اللي بيحصل فيا يا نبيل؟ إنت عملت إيه؟

قلت في ارتباك:

- أنا.. أنا نفذت العهد

فجأة سمعت صفيراً حاداً في أذني واختلجت أنوار الغرفة.. لا.. لا يمكن أن يكون ذلك حقيقياً.. قلت في مزيج من الحيرة والخوف:

- المفروض المخلوق يكون مات

انقلبت عيناها سواد دامس ومدت يدها باتجاهي تريد القبض على عنقي كأنها مسلوحة الإرادة وهتفت بصوت مختلف عن صوتها:

- صلاح كان غبي.. القرين ميقدرش يقتل المخلوق

تراجعت بظهري إلى الوراء لا إرادياً وأنا أقول:

- أكيد في حاجة غلط.. أكيد

قالت في نبرة عجيبة:

- كان لازم تفكر كويس.

التصقت بالحائط وأنا أردد في زعر:

- مستحيل.. مستحيل

لكنها تقدمت نحوي وهى تترنح وقالت بصوت خشن:

- إنت حررت المخلوق من سجنه.. إنت...

وقبل أن تكمل كلمتها اتسع فمها على آخره..

اتسع أكثر وأكثر..

تمزق اللحم وانفجرت الدماء..

تفسخ فكها تمامًا وطار رأسها في الهواء وسقط على الأرض

بجوارى..

ثم استطال عنقها وبرزت منه أنياب حادة..

وتحرك في كل الاتجاهات..

تحرك كالأفعى.

تمت

محمود الجعيدي

٢٠٢٤

(3)- قرافة (وتعني المقابر في مصر) غالبا ما يُقصد بها اليوم تلك المنطقة الواقعة بالعاصمة المصرية القاهرة والتي امتدت مساحتها أسفل المقطم وسكنها البسطاء. وسميت المقبرة «قرافة» باسم قبيلة من المغافر يقال لهم «بنو قرافة». كان بالقاهرة قرافتان، إحداهما بسطح المقطم وسميت «القرافة

الصغرى» وبها قبر الإمام الشافعي، والأخرى شرق الفسطاط بجوار المساكن يقال لها «القرافة الكبرى»، وفيها كانت مدافن عامة الشعب.